العمل والأخذ بالأسباب

دراسة في الثقافة الإسلامية

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أصُول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

تأليف

الأستاذ الدكتور/ يسري محمد محمد هاني

أستاذ الدعوة وعلومها في كلية أصول الدين والدعوة

جامعة الأزهر بالمنصورة

ملخص البحث باللغة العربية

العمل والأخذ بالأسباب دراسة في الثقافة الإسلامية

يسري محمد محمد هاني

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: yosrimohamedhani@gmail.com

المستخلص:

خلق الله الكون كله بعلم وحكمة ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ ومنه الأرض التي وهب لها عطاءات:

الأول: تذليلها وتمهيد السبيل فيها ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا﴾ ليس فيها صعوبة على الأحياء فوقها. فأصبح سهلا أن يمشوا فيها ويعمروها.

الثاني: بسطها وتوسيعها ﴿والله جعل لكم الأرض بساطا. لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾ .

الثالث: تثبيتها بالجبال فلا تميد ولا تضطرب: ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ .

الرابع: مدّها بالماء لتحيا ويحيا من يسكنها: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها﴾ .

الخامس: جعلها خزائن للأرزاق والأقوات ﴿وقدَّر فيها أقواتها﴾ .

السادس: نشر البركة فيها: ﴿وبارك فيها﴾ وتعني البركة كثرة الخيرات الحاصلة منها وأنها لن تبخل عن سكانها.

السابع: ربط الحصول على بركتها وخيراتها بالسعي والحركة والعمل ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أرجائها طلبا للرزق في أنواع المكاسب والتجارات. وجعل نتيجة ذلك ﴿وكلوا من رزقه﴾ .

الثامن: أنه تعالى وهب الكائنات الحية على الأرض وسائل عيشها، وجعل لها القدرة في أعضائها على بذل الجهد البدني والعقلي للسعي، على اختلاف أنواعها ودرجاتها لتحصل على ما يقيم حياتها ويدفع عنها غائلة الجوع والتشرد. ولا يمكن أن تقوم حياة دون عمل ولا تستقيم إلا بجهد منظم على مستوى الفرد ثم الجماعة.

ولما كان للعمل هذه الأهمية في حصول الإنسان على احتياجاته ولعمارة الكون، وكان التقدم الاقتصادي ورفع غائلة الجوع والغلاء مربوطا بالأخذ بالأسباب فقد اهتمت الثقافة الإسلامية بالعمل والأخذ بالأسباب لإقامة الاقتصاد الجيد المنتج للخير على هذه الأرض. وهو ما عمل عليه هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: العمل، الأخذ بالأسباب، الثقافة الإسلامية.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Work and taking the reasons - a study in Islamic culture

Yousry Mohamed Mohamed Hani
Department of Da'wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: yosrimohamedhani@gmail.com

Abstract:

Allah created the entirety of the universe with profound knowledge and wisdom, " [It is] the work of Allah, who perfected all things". Among His creations is the Earth, endowed with abundant blessings. These blessings manifest in various aspects:

Firstly, the Earth was made submissive and its pathways smoothed, "It is He who has made the earth tame for you" Walking upon its surface and cultivating its fertile lands became effortless tasks.

Secondly, the Earth was spread out and expanded, "And Allah has made the earth for you as a carpet (spread out) . That you may go about therein, in spacious roads."

Thirdly, the Earth was firmly established with mountains, rendering it stable and impervious to disturbances. "And He has set up on the earth mountains standing firm, lest it should shake with you."

Fourthly, the Earth was adorned with water to be the source of life "Do you not see that Allah sends down rain from the sky? With it We then bring out produce of various colors."

Fifthly, the Earth was designated as a repository of sustenance and provisions, "… and measure therein all things to give them nourishment in due proportion."

Sixthly, blessings were widely diffused throughout the Earth, "and bestowed blessings on it (the earth) " and blessings mean signifying the abundant goodness and benevolence it bestows upon its inhabitants.

Seventhly, the attainment of these blessings and bounties is contingent upon human endeavor, movement, and industriousness. "so

traverse you through its tracts" then whenever the condition is fulfilled "and enjoy of the Sustenance which He furnishes."

Eighthly, Allah has graciously bestowed living organisms on the Earth with the means of livelihood. These organisms possess intrinsic capacities within their bodily faculties to exert physical and mental effort in pursuit of their sustenance, varying in types and degrees. Such efforts are necessary for the preservation of life, mitigating hunger, and combating destitution. Indeed, a life devoid of work is unsustainable and can only be rectified through organized and concerted endeavors, both at the individual and collective levels.

Given the paramount significance of work in fulfilling human needs and the construction of the cosmos, coupled with the inherent correlation between economic progress, alleviation of hunger, and rising living costs with the adoption of causal measures, Islamic culture has bestowed considerable attention upon the concepts of work and the implementation of appropriate measures. These endeavors aim to establish a sound and productive economy upon this Earth, constituting the focal points of the present study.

Keywords: work, adoption of measures, Islamic culture.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾

[التوبة: ١٠٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

خلق الله سبحانه الكون كله سماءه وأرضه بعلم وحكمة.. أتقن صنعه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(١)، وأحسن خلقه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾(٢)، فاستحق التنزيه والتعظيم: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾(٣)، وخلق الأرض في يومين ووهب لها عدة عطاءات:

العطاء الأول: تذليلها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾(٤)، أي: سهلة ليس فيها صعوبة على الأحياء فوقها، ومن ثم أصبحت طوع بنان الإنسان ليمشي فيها ويعمرها.

العطاء الثاني: تمهيد السبل والطرق فيها حتى يسهل عليها السعي والحركة: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٥)، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾(٦)، فالمهد والمهاد: الميسر الموطأ المهيأ المسوى.

العطاء الثالث: بسطها وتوسيعها وفرشها ومدها: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾(٧)، فالبساط: الأرض المتسعة، ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ

---

(١) سورة النمل من الآية ٨٨.

(٢) سورة المؤمنون من الآية ٧.

(٣) سورة المؤمنون من الآية ١٤.

(٤) سورة الملك من الآية ١٥.

(٥) سورة الزخرف الآية ١٠.

(٦) سورة النبأ الآية ٦.

(٧) سورة نوح الآيتان ١٩، ٢٠.

﴿فِرَاشًا﴾[١]، والفراش هو: بسط الثياب فجعل تعالى الأرض مبسوطة مفروشة قريبة، ولم يجعلها نائية لا يمكن الاستقرار عليها.

العطاء الرابع: تسكينها بالجبال فلا تميد أو تضطرب: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾[٢]، ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾[٣]، ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[٤]، وجعل الجبال أوتادًا تثبت الأرض: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[٥]، فأرساها بالجبال حتى سكنت ولم تضطرب: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾[٦]، أكدها في أماكنها فاستقرت في الأرض، وفى الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيْهَا، فَاسْتَقَرَّتْ...»[٧].

العطاء الخامس: مدها بالماء والعيون لتحيا ويحيا من يسكنها: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٨]، ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾[٩]، ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٢.

(٢) سورة فصلت من الآية ١٠.

(٣) سورة الأنبياء من الآية ٣١.

(٤) سورة لقمان من الآية ١٠.

(٥) سورة النبأ الآية ٧٠.

(٦) سورة النازعات الآية ٣٢.

(٧) أخرجه: أحمد في مسنده ٢٧٧/١٩، ح رقم ١٢٢٥٤ [واللفظ له]، والترمذي في سننه أبواب تفسير القرآن ٤٥٤/٥، ح رقم ٣٣٦٩، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

(٨) سورة الأنبياء من الآية ٣٠.

(٩) سورة النحل من الآية ٦٥.

﴿مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾[١]، فكانت الزروع والثمار: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ﴾[٢].

العطاء السادس: نشر البركة فيها: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾[٣]، فالأرض مباركة قابلة للخير والبذر والغراس، والبركة فيها كثرة الخير والخيرات.

العطاء السابع: تقدير الأقوات فيها: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾[٤]، أي جعلها خزائن للأقوات والأرزاق وما يحتاجه أهلها، وجعل لكل مكان في نواحيها ما لا يصلح في غيره حتى يتم التبادل بين أهلها للمنافع.

العطاء الثامن: جعل الأرزاق فيها موزونة مقدرة: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾[٥]، ذكر تعالى الأرض ومده إياها وتوسيعها وبسطها وما جعل فيها من الجبال الرواسي والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المناسبة، ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾ أي معلوم، وكذا قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وغيرهم، ومنهم من يقول: مقدر بقدر، وقال ابن زيد: من كل شيء يوزن، ويقدر بقدر[٦].

---

(١) سورة الزخرف من الآية ١١.

(٢) سورة فاطر من الآية ٢٧.

(٣) سورة فصلت من الآية ١٠.

(٤) سورة فصلت من الآية ١٠.

(٥) سورة الحجر الآيات ١٩-٢١.

(٦) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير «مختصر تفسير القرآن العظيم»: الشيخ أحمد شاكر ٣٥٩/٢.

العطاء التاسع: ربط الحصول على خيرات الأرض وبركتها بالسعي والحركة والعمل: ﴿**فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ**﴾[1]، أي: سافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارة، وجعل نتيجة ذلك: ﴿**وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ**﴾، وإذا كانت الأقوات موضوعة في الأرض كان طلبها من الأرض متعينًا.

العطاء العاشر: أنه تعالى وهب الكائنات الحية على الأرض وسائل عيشها، وجعل لها القدرة في أعضائها وأجهزتها على بذل الجهد البدني والعقلي للسعي والعمل على اختلاف أنواعها ودرجاتها لتحصل على ما يقيم حياتها، ويدفع عنها غائلة الجوع والتشرد، ولا يمكن أن تقوم حياة دون عمل، ولا تستقيم إلا بجهد منظم من الفرد والمجتمع. وقد فطر الإنسان - خاصة - على حب السعي والعمل والضرب في الأرض لاستخراج كنوزها والانتفاع بخيراتها. حيث استخلفه في الأرض وأعطاه القدرة على الإنتاج والإنماء وعلى تجويد العمل واستنباط كل جديد يساعد على ذلك.

وقد أشار العلامة ابن خلدون ﷺ إلى أن طبع الإنسان يحمله على الاقتناء والملك بالسعي والعمل.. وأن ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير من الصنائع.. وأن المفادات أو المكتسبات كلها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية، فيقول: «اعلم أنّ الإنسان مفتقر بالطّبع إلى ما يقوته ويمونه في حالاته وأطواره من لدن نشوءه إلى أشدّه إلى كبره: ﴿**وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ**﴾[2]، والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان وامتنّ به عليه في غير ما آية من كتابه فقال: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم**

---

(١) سورة الملك من الآية ١٥.

(٢) سورة فاطر من الآية ٣٨.

﴿مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[١]، وسخّر لكم البحر، وسخّر لكم الفلك، وسخّر لكم الأنعام. وكثير من شواهده. ويد الإنسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف. وأيدي البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك. وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلّا بعوض. فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضّعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الأعواض عنها. قال الله تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾[٢]»[٣].

وأقول: لما كان للعمل هذه الأهمية العظمى في حصول الإنسان على حاجاته المادية الضرورية «الفطرية» في أي مجتمع من المجتمعات، وكان السعي الدائم والحركة المستمرة سببًا لطلب الرزق وعمارة الكون، وكان التقدم الاقتصادي والاجتماعي ودفع غائلة الجوع والغلاء مربوطًا بالأخذ بالأسباب، فقد اهتمت الثقافة الإسلامية بالعمل وبضرورة الأخذ بالأسباب؛ لأنه أساس الاقتصاد المنتج للخير على هذه الأرض. وقد قسمت هذا البحث إلى ستة مباحث تحتها عدة مطالب:

المبحث الأول: مفهوم العمل والنشاط الإنساني بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى:

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم العمل في الثقافات غير الإسلامية.

المطلب الثاني: العمل في الثقافة الإسلامية.

المبحث الثاني: الربط بين العمل وبين الأخذ بالأسباب:

---

(١) سورة الجاثية من الآية ١٣.

(٢) سورة العنكبوت من الآية ١٧.

(٣) مقدمة ابن خلدون صـ٣٤٤.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: قواعد السعي والعمل.

المطلب الثاني: النهي عن الكسل والقعود عن العمل.

المبحث الثالث: محفزات العمل في الثقافة الإسلامية.

المبحث الرابع: أسباب نجاح العمل.

المبحث الخامس: أنواع المكاسب.

المبحث السادس: ثمرات العمل الاقتصادي الصالح.

وهاك البيان...

المبحث الأول: مفهوم العمل والنشاط الإنساني بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى

المطلب الأول: مفهوم العمل في الثقافات غير الإسلامية

تبرز على الأرض ثقافتان رئيستان مقابل الثقافة الإسلامية، وهما الرأسمالية والاشتراكية «الشيوعية»، ونلقي ضوءًا وجيزًا عن كل منهما:

أولًا: الرأسمالية:

خرجت أوروبا من العصور الوسطى المظلمة التي سيطرت فيها الملكية الظالمة والكنيسة الفاسدة والإقطاع الجشع فثار الأوروبيون على الكنيسة والإقطاع والملكية فأزاحوا سلطان كل هذه الجهات عن حياتهم، وفصلوا الدنيا عن الدين، ومن ثم ظهرت الرأسمالية التي انفصلت تمامًا عن الدين وعن الأخلاق، وأسست الحياة الاقتصادية الرأسمالية.

هذا، وقد عرف علماء الاقتصاد الرأسمالية عدة تعريفات استعرضها د/أحمد جامع، ثم اختار تعريفًا يقول: تنظيم النشاط الاقتصادي في المجتمع على قيام فرد «هو الرأسمالي» أو مجموعة من الأفراد مجتمعين «الشركات الرأسمالية» بالتأليف بين رؤوس الأموال الإنتاجية المملوكة لهم والمواد الأولية التي يشترونها وقوة العمل المستأجرة في شكل مشروع «المشروع الصناعي» يستخدم الآلية كأساس للفن الإنتاجي، وذلك من أجل تحقيق مقدار متزايد من الثروة يمكنهم من الحصول على أرباح يحتفظون بها لأنفسهم، ومن ثم زيادة تراكم رأس المال لديهم باستمرار[(١)].

هذا وقد أوجز العلامة المودودي ناتج ذلك في نقاط منها:

١. أن الفرد هو المالك الوحيد لما يكتسب ولا حق لغيره فيه.

٢. أن للفرد الحق في التصرف في ماله كيف شاء.

٣. أن للفرد الحق في أن يحتكر من وسائل الإنتاج كل ما يصل تحت يده.

---

(١) النظم الاقتصادية: د/ أحمد جامع، صـ١١٩.

٤. أن للفرد الحق في أن يحرك هذه الوسائل في وجوه منفعته هو.

٥. أن الأثرة وحب الذات تخرج من حيز الفطرة المقبول إلى هذه الأنانية المتطرفة التي تحطم ما يقف في طريقها مهما كان نوعه وصنفه.

٦. اختفاء القيم الخلقية ولذلك فصلوا بين الأخلاق والاقتصاد، فانعدم التكافل والتعاطف والمواساة.

ماذا ينتج عن ذلك:

١. اختلال التوازن في توزيع الدخل بين الأفراد؛ حيث تتجمع وسائل إنتاجية لدى طائفة من الأفراد تكون هي المهيمنة والموجهة لتنعم بكل ألوان الترف في دهاء غير مسبوق.

٢. انقسام المجتمع إلى طبقتين لا ثالث لهما، طبقة أصحاب رءوس المال، وطبقة العمال ومن دونهم، أما الأولى: فتضع كل الموارد في يدها وتتصرف فيها كيف تشاء، وفى سبيل حصولها على المال تدوس كل شيء بما فيها مصلحة المجتمع. أما الثانية: فليس لها إلا الكدح لتمتلأ جيوب الأولى وتحصل مع هذا الكدح على أقل ما يمكن أن يقيم أودها.

٣. ينتج هذا النظام المرابين وأصحاب المصانع وملاك الأراضي في جانب، والعمال والمزارعين في جانب آخر، فيضطر كل فرد إلى السعي على وسائل معيشته بوسائله الذاتية للمعيشة، وأن يقع التنازع بين طبقات المجتمع في سبيل البقاء بدل التعاون، وأن يجتهد كل فرد أن يستأثر بأكثر ما يصل إلى يده من موارد يحتكرها ولا يستخدمها إلا لإنماء ثروته واستثمارها...، أما من يخفق في هذه المعركة فلا يجود أحد عليهم بشيء ولا يرثى لهم أحد، وليس أمامهم حينئذ إلا التخلص من حياتهم بالانتحار أو يسلكوا مسالك الجريمة والخسة للحصول على قوتهم.

والطريق المحتوم في النهاية أن يندفع الناس إلى جمع المال ولا ينفقوه إلا في وجوه مثمرة لهم فيقيموا شركات التأمين والشركات المساهمة وينشئوا البنوك ويجمعوا المال الاحتياطي، وهذا معناه اقتناء المال بالمال، وفى سبيل ذلك لا ميزان للحلال أو الحرام أو طرق مشروعة أو غير

مشروعة أو من طريق الربا. حتى أصبح في الرأسمالية لا فرق بين البيع والربا، فهما روح واحدة تسري في عروق الرأسمالية، ولولا هذا الربا لسقط النظام الرأسمالي وانتهى[١].

ثانيًا: الاشتراكية «الشيوعية»:

قامت الاشتراكية كرد فعل معاكس للرأسمالية، فإذا كانت الثانية قد جعلت كل خيوط الاقتصاد في يد الأغنياء وأصحاب الثروة وأدارت الإنتاج والمال في المجتمع على هذه الأنانية المفرطة التي لا تشبع من جمع مزيد من الأموال في غير مبالاة بجوع من يجوع. فالمال يولد المال بالبيع أو الربا، وفى النهاية يتجمع ذلك كله في يد مجموعة من أصحاب رءوس المال الذين أصبحوا في جانب والعمال والمزارعين في الجانب الآخر. فجاءت الاشتراكية تجعل وسائل الإنتاج كلها مشتركة بين أفراد المجتمع لكن لا يملكها الأفراد أو يتصرفوا فيها حسب رغباتهم - أو يتمتعوا بها وحدهم - بل لا ينالون ما ينالون إلا مكافأة عما يقدمونه من الخدمات لصالح المجتمع الاشتراكي الذي يهيئ لهم مرافق الحياة وهم يقومون بالعمل مقابل ذلك[٢].

وقد نتج عن هذه الثقافة ما يلي:

١. حرمان العامل من حقه الفطري في التملك.

٢. انعدام الحافز المادي والتسوية بين الناس في الأجور؛ مما قلل النشاط والإنتاج وغيب الإتقان المطلوب.

٣. قتل المواهب وبالتالي انعدم الإبداع[٣].

---

(١) للمزيد انظر: أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة: أ/ أبو الأعلى المودودي، صـ١١ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق صـ١١ وما بعدها.

(٣) للمزيد انظر: النظم الاقتصادية: د/أحمد جامع صـ٢٨٢، الاقتصاد الإسلامي: الشيخ حسن سري صـ٦٨ وما بعدها.

هذا وقد درج الاقتصاديون الرأسماليون أو الاشتراكيون على تعريف العمل بأنه «كل جهد يبذله الإنسان بدنيًا أو ذهنيًا لخلق منفعة اقتصادية أو زيادة منفعة شيء موجود».

ويعلق أ/ عبد السميع المصري على ذلك بقوله: فإذا كان كل جهد يؤدي إلى منفعة اقتصادية يعتبر عملًا، فإدارة صاحب المصنع لمصنعه وصاحب المزرعة لمزرعته يدخل في نطاق هذا التعريف للعمل، ويعتبر الرأسماليون ما يدفعونه من أجور للعمال جزء من مقومات القيمة المضافة (**Value Added**)، التي تتكون من الأجور والأرباح وللفوائد المدفوعة وتضاف أخيرًا إلى قيمة المنتج أو السلعة، ولذلك يحرص الرأسماليون على أن يدفعوا للعمال الأجر الذي يتعادل مع انتاجيتهم الجدية وفى ظل هذا النظام يشعر العامل بالغبن وبأن ما يتقاضاه من أجر لا يتكافأ مع ما بذله من جهد، ولهذا طلع كارل ماركس - نبي الشيوعية - على الناس بنظرية فائض القيمة (**Surplus value**)، ومعناها الفرق بين ما يتقاضاه العامل من أجر وقيمة ما ينتجه فعلًا، ويتفق آدم سميث - أحد عمد الاقتصاد الرأسمالي - مع كارل ماركس في أن العمل هو أساس كل القيم المتبادلة وهو ما يعبر عنه كارل ماركس بالسلب المستمر لفائض القيمة الذي يؤدي إلى التكدس الرأسمالي في الآلات وغيرها..، وهكذا نلمح في هذه الآراء بذور الصراع الطبقي بين الناس الذي أدى إلى المنازعات الدموية التي تؤججها الأيديولوجيات المعاصرة... هذه المنازعات التي لم تهدأ أبدًا والتي تركت هذا العالم نهبًا للتمزق والاضطراب[١].

وهكذا تقف هذه الثقافات في تعريف العمل عند المعنى المادي المتعلق بالإنتاج دون التوجه إلى المعنى الروحي أو المعنوي المرتبط بالدين؛ لذلك صارت أبحاث أصحابها نحو المادة

---

(١) مقومات العمل في الإسلام: عبد السميع المصري صـ١٠.

واستغلالها في الإنتاج، وهذا الإنتاج قد يكون منتجًا زراعيًا أو صناعيًا أو تجاريًا، لا يشترط فيه أن يكون حلالًا أو حرامًا.

فماذا تقول الثقافة الإسلامية عن العمل؟

المطلب الثاني: العمل في الثقافة الإسلامية

أولاً: تعريف العمل لغة واصطلاحًا:

أ. تعريف العمل في اللغة:

قال في القاموس: العَمَلُ: المِهْنَةُ والفِعْلُ، جمعه: أعْمالٌ...، واعْتَمَلَ: عَمِلَ بنفْسه..، ورجُلٌ عَمِلٌ: ذو عَمَلٍ، أو مَطْبوعٌ عليه...، والعَمَلَةُ: العامِلونَ بأيْديهِم[١].

وجاء في المعجم الوجيز: وعمل عملًا: فعل فعلًا عن قصد، ومهن وصنع، والعمل: المهنة والفعل، وهو في الاقتصاد: مجهود يبذله الإنسان لتحصيل منفعته[٢].

ب. تعريف العمل الاقتصادي من منظور الثقافة الإسلامية:

إذا أردنا تعريف العمل في منظور الثقافة الإسلامية فسوف نجد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يضعان أمامنا عناصر هذا التعريف:

ففي القرآن الكريم: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾[٣]، هذا، والآيات تتحدث عن سيدنا داود عليه السلام، وهو يعمل في تشكيل الحديد فيعمل منه دروعًا سابغات ويقارب بين شبكاتها، وقد جاءت هذه الأعمال بصيغة الأمر، حتى ختمت بأمر أيضًا: **﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ**

---

(١) القاموس المحيط: الفيروزآبادى صـ١٠٣٦.

(٢) المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية صـ٤٣٥.

(٣) سورة سبأ من الآية ١١.

بَصِيرٌ﴾[١]، في إطار مراقبة الله تعالى لإتقان العمل، وإشارة إلى أن العمل المعترف به هو «الصالح» أي المنتج للخير والنفع، ويقول تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا**﴾[٢].

وفى السنة النبوية المشرفة يقول ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[٣].

وقد سئل ﷺ: أَيُّ الْكَسْبِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»[٤]، إشارة إلى العمل المادي الحسي كالحرفة والمهنة.

ويقول ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»[٥]. إشارة إلى العمل الذي يجمع بين الحسي المادي وبين العمل المعنوي، كالتعليم والقضاء والطب والدعوة وأمثالها.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «من اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ، مِنْ الْأَنْصَارِ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! اقبل عني عملك. قال: ومالك؟ قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: «وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ. مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فليجيء بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ. فَمَا أوتِيَ مِنْهُ

---

(١) سورة سبأ من الآية ١١.

(٢) سورة الكهف من الآية ١١٠.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه ك البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده ٥٧/٣، ح رقم ٢٠٧٢.

(٤) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير ٢٧٦/٤، ح رقم ٤٤١١.

(٥) جزء من حديث، أخرجه: الترمذي في سننه أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٥٠/٥، ح رقم ٢٦٨٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

أَخَذَ. وَمَا نُهِيَ عنه انتهى»[١]، إشارة إلى أن وظائف الدولة والإمارة عمل، والقائمين عليها عمال.

وبناء على فقه الآيات والأحاديث نستطيع تعريف العمل الاقتصادي بأنه: «كل جهد صالح منتج للخير يبذله الإنسان رغبة في نفع نفسه أو غيره، سواء أكان جهدًا ماديًا جسديًا كالحرف والمهن اليدوية، أم معنويًا كالتعليم والقضاء والطب وغيرهم».

- **فقولنا «جهد صالح»:** أي مشروع يتفق مع تعاليم الدين والقوانين العادلة، فيخرج كل جهد غير مشروع مثل تصنيع الخمور والمخدرات وما يشبهها، فإن ذلك لا يدخل في تعريف العمل.
- **وقولنا «رغبة في نفع نفسه»:** إشارة إلى طبيعة الإنسان وفطرته؛ حيث يحب نفسه ويسعى لجلب الخير إليها: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٢].
- **وقولنا: «أو نفع غيره»:** لأن العمل دائمًا يكون بين طرفين، أولهما: العامل نفسه، والثاني: من يتجه إليه العمل، كصاحب العمل، ومن بعدهما نفع المجتمع كله.
- **وقولنا «جهدًا ماديًا جسديًا»:** هذا هو الغالب في العمل والسعي، بل إنه حتى في الجهد المعنوي لابد من الحركة والانتقال من مكان إلى مكان، وإعمال العقل للحصول على ناتج العمل، فيدخل في تعريف العمل الجهد المبذول من المعلمين والدعاة والوعاظ والمفكرين وأمثالهم.

وبذلك يكون تعريف العمل تعريفًا شاملًا ومتنوعًا، يشمل كل نشاط مشروع ويكون مساويًا بين سائر الأعمال المشروعة، ومانعًا من احتقار مهنة أو حرفة ما، فكلها محترمة ما دامت شرعية صالحة نافعة للعامل وغيره، وإن اختلفت مراتبها حسب أهميتها.

يقول الحافظ في الفتح وهو يعلق على مهنة الحجام: «إذ لا يلزم من كونها من المكاسب الدنيئة

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه ك الإمارة، باب تحريم هدايا العمال ١٤٦٥/٣، ح رقم ١٨٣٣.

(٢) سورة العاديات الآية ٥.

ألا تشرع، فالكساح (كساح المجاري) أسوأ حالًا من الحجام، ولو تواطأ الناس على تركه لأضر ذلك بهم»[(١)].

هذا، والتعريف كذلك يجعل للعمل هدفين:

- **الأول:** نفع صاحبه حيث ينقذه من البطالة والتسول، كما ينفع أولاده وأهله، ويحفظ له كرامة النفس، ويصونها عن الابتذال والاحتقار بسؤال الناس؛ لأن الناس عادة تحترم صاحب العمل الصالح الساعي إلى إعفاف نفسه وأهله وأولاده.
- **الثاني:** نفع الناس بنتاج طيب في كل المجالات المطلوبة وخدمة المجتمع الذي يعيش فيه بل خدمة الإنسانية كلها.

وهكذا يجد القارئ المتدبر والمطالع المتأني للثقافة الإسلامية أنها تسبق الثقافات الأخرى جميعًا، بمعنى بديع حيث تعرف العمل تعريفًا شاملًا يجمع بين العمل العبادي بالفرائض التي أوجبها الله على عباده، وبين العمل لعمارة الدنيا واستخراج كنوز الأرض لمقاومة الجوع والغلاء والتشرد، فتقيد لفظ العمل بوصف «صالح»: ﴿**وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا**﴾[(٢)]، ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا**﴾[(٣)]، وتقييد اللفظ بالوصف يعنى معنى زائدًا – كما قرره العلماء – **فما المعنى الزائد هنا؟**

والجواب: أن الوصف يشير إلى كل لون من ألوان العمل والسعي الذي يصلح الدنيا والدين، ويشمل كل نواحي الحياة للمجتمع البشري، وبذلك سبقت كل ثقافات العالم في توجيه البشرية إلى

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر ٣٢٤/٤.

(٢) سورة المؤمنون من الآية ٥١.

(٣) سورة الكهف الآية ٣٠.

منابع العز والثروة والغنى المادي والروحي والمعنوي: في صلاح العمل وعدم الجنوح به إلى الفساد في الأرض.

فهذا نبي الله صالح عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(١).

وهذا شعيب عليه السلام يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾(٢).

فالعبادة عمل يحقق التقوى للفرد والمجتمع: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾(٣).

وهذه التقوى التي هي ثمرة العمل العبادي تزكي المجتمع:

- فالصلاة عمل صالح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾(٤).
- والزكاة عمل صالح: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ

---

(١) سورة الأعراف الآية ٧٤.

(٢) سورة الأعراف الآيتان ٨٥، ٨٦.

(٣) سورة النساء من الآية ٩٩.

(٤) سورة الأعلى الآيتان ١٤، ١٥.

لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

• والصوم عمل صالح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٢].

• والحج عمل صالح: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾[٣].

• والذكر عمل صالح: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٤].

• وصلة الرحم وبر الوالدين عمل صالح: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾[٥]، ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[٦].

• وإكرام ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وما ملكت اليمين والجار عمل صالح: ﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾[٧].

• كما أن إتقان العمل ومراعاة الأمانة فيه عمل صالح، وكسبه من حلال عمل صالح، عَنْ

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٣.

(٣) سورة الحج من الآيتان ٢٧، ٢٨.

(٤) سورة الأنفال من الآية ٤٥.

(٥) سورة النساء من الآية ١.

(٦) سورة النساء من الآية ٣٦.

(٧) سورة النساء من الآية ٣٦.

عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»[١]، وكل ألوان الكسب الحلال عمل صالح يثبت أن العبادات كلها قائمة على السعي والعمل طلبًا لمرضاة الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾[٢].

• وإذا كانت العبادة عملًا يدفع إلى عمارة الدنيا فإن العمل الاقتصادي كذلك عبادة؛ وبذلك يكون العمل الصالح ليس مجرد طيبة في النفس فقط، إنما هو الإصلاح في الأرض بكل معاني الإصلاح من بناء وعمارة ونشاط ونماء وإنتاج. وعليه، فإن العمل المادي من تجارة وزراعة وصناعة، وغير ذلك من النشاط المادي للإنتاج عمل صالح، وهو فريضة يقول عنها النبي ﷺ: «طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ»[٣].

ونعود فنؤكد أن الثقافة الإسلامية تجعل العبادة عملًا كما تجعل العمل الاقتصادي عبادة، وهذا أروع وأجمل ما يمكن تصوره في بيان مكانة العمل وأهميته.

ثانيًا: العمل في مصادر الثقافة الإسلامية:

أولًا: وردت كلمة «العمل» في القرآن الكريم والسنة النبوية – وهما مصدران أصيلان للثقافة الإسلامية – في مواضع كثيرة، ففي القرآن الكريم وردت الكلمة وحدها في ثلاثمائة وخمسة وستين موضعًا، فإذا أضيف إليها مشتقاتها كالسعي والمشي وغيرهما تصل إلى ثلاثمائة وواحد وسبعين

---

(١) أخرجه: أبو يعلى في مسنده ٣٤٩/٧، ح رقم ٤٣٨٦.

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٨.

(٣) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير ٧٤/١٠، ح رقم ٩٩٩٣.

موضعًا في ثمان وستين سورة تأتي في صلب البحث[١]. كما وردت في السنة النبوية في مواضع كثيرة تأتي في صلب البحث.

وبعد دراسة هذه المواضع أستطيع تقسيمها إلى عدة أقسام:

١. العمل بمعنى التعبد والسلوك الأخلاقي - وهو الغالب عليها -.

٢. العمل بمعنى الصنع والخلق: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ**﴾[٢].

٣. العمل بمعنى الاقتصاد: ﴿**وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ**﴾[٣].

وما يهمنا هنا هو الإطلاق الاقتصادي الذي دلت عليه كلمة «العمل» وما يشبهها في القرآن الكريم.

وهذه إشارة إلى ما يشبه كلمة «العمل» في الآيات ومنها:

١. السعي: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ**﴾[٤]. أي ما عمل، ﴿**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ**﴾[٥]، أي: إن عملكم متعدد ومختلف.

٢. كلمة «ابتغاء» الواردة بصيغة الأمر: ﴿**وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ**﴾[٦]، والواردة في معرض الامتنان على الخلق: ﴿**وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ**

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي صـ٣١٦.

(٢) سورة يس الآية ٧١.

(٣) سورة يس من الآية ٣٥.

(٤) سورة النجم الآية ٣٩.

(٥) سورة الليل الآية ٤.

(٦) سورة الجمعة من الآية ١٠.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١].

٣. كلمة «المشي» الواردة بصيغة الأمر: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾[٢].

٤. كلمة «النشور والانتشار» الواردة بصيغة الأمر: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٣]، ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾[٤]، أي جعل النهار للانتشار في الأرض والسعي فيها من أجل الرزق.

٥. كلمة «معاش»: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[٥].

وبذلك تكون كلمة العمل والسعي والابتغاء والانتشار والنشور والمشي والمعاش، تعني العمل الدنيوي الذي يبذل فيه الفرد بنفسه أو مع غيره جهدًا بدنيًا وعقليًا؛ لتحصيل الرزق وطلب العيش الذي يكف به نفسه عن سؤال الغير أو التسول المذل. والأصل أن يحصل ذلك بجهده وسعيه ما دام قادرًا غير عاجر جسميًا وعقليًا واجتماعيًا.

طرق الكسب التي يحصل الإنسان بها على رزقه:

ومن دراسة الآيات والأحاديث نجد طرق الكسب التي يحصل بها الإنسان على رزقه هي:

الأول: السعي والعمل وبذل الجهد، وهو الأصل.

الثاني: ما يدخره من مال وشبهه للمستقبل.

الثالث: ما يؤول إليه عن طريق الميراث أو الهدية أو الهبة أو الجوائز.

---

(١) سورة القصص الآية ٧٣.

(٢) سورة الملك من الآية ١٥.

(٣) سورة الجمعة من الآية ١٠.

(٤) سورة الفرقان من الآية ٤٧.

(٥) سورة النبأ الآية ١١.

فإن كان الأول والثاني فهو سعيه وعمله وجهده، وإن كان الثالث فيكون عمله فيه أن ينمي ما ورثه وما أهدي إليه حتى لا يتبدد بالاستهلاك، أو تأكله الزكاة فيعود محتاجًا للغير وهو ما نهى عنه النبي ﷺ.

ثانيًا: أحلت الثقافة الإسلامية العمل المكانة اللائقة به في مضمونها، وحثت عليه وعلى الجد والاجتهاد في السعي ابتغاء فضل الله ورزقه، قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ**﴾[١].

قال الإمام ابن عطية ﵀: «وهذه الآية تعديدُ نعمٍ في تقريب التصرف للناس، وفي التمتع في رزق الله تعالى»[٢].

وقال شيخنا الدكتور أحمد غلوش حفظه الله: «أي اذكروا أيها الناس فضل ربكم عليكم فقد سخر لكم الأرض، وذللها لكم، وجعلها قارة ساكنة، وثبتها بالجبال حتى لا تضطرب ولا تميد، وأجرى فيها البحار والأنهار، وفجر العيون، وخلق الحيوان والأنعام، وأوجد فيها وسائل معاشكم من زرع وحب وفاكهة، ويسر السبل لتتحركوا فوقها فامشوا في جوانبها، وتحركوا في أرجائها للتجارة والعمل، وكلوا مما رزقكم الله فيها، وتوكلوا على الله تعالى في سعيكم ومعاشكم، وأعمالكم، يقول النبي ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، »

---

(١) سورة الملك الآية ١٥.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية ٣٤١/٥.

تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[١]، وفى الآية دعوة صريحة إلى السعي في مناكب الأرض، والعمل في زراعتها أو في التجارة خلالها... أو في أي عمل يراه الإنسان سببًا للزرق»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣]. أي «اجتهدوا في المستقبل، فإن لعملكم في الدنيا حكمًا وفي الآخرة حكمًا. أما حكمه في الدنيا فهو أنه يراه الله ويراه الرسول ويراه المسلمون، فإن كان طاعة حصل منه الثناء العظيم والثواب العظيم في الدنيا والآخرة، وإن كان معصية حصل منه الذم العظيم في الدنيا والعقاب الشديد في الآخرة. فثبت أن هذه اللفظة الواحدة جامعة لجميع ما يحتاج المرء إليه في دينه ودنياه ومعاشه ومعاده»[٤].

ويبني رسول الله ﷺ ثقافة المسلم على أساس أن يكون فردًا نافعًا يسهم في عمارة مجتمعه، ويبذل عمله المتقن في سبيل ذلك: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ. قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ. قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[٥]، وألا يكف عن العمل ولو

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه أبواب الزهد، باب في التوكل على الله ٥٧٣/٤، ح رقم ٢٣٤٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه [واللفظ له]، وابن ماجه في سننه ك الزهد، باب التوكل واليقين ١٣٩٤/٢، ح رقم ٤١٦٤.

(٢) ركائز القدوة في تفسير الدعوة: أ. د/ أحمد أحمد غلوش ٥٩٤/١٣.

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٥.

(٤) مفاتيح الغيب: الفخر الدين الرازي ١٤٢/١٦.

(٥) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الزكاة، باب على كل مسلم صدقة ١١٥/٢، ح رقم ١٤٤٥، ومسلم في صحيحه ك الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٦٩٩/٢، ح رقم ١٠٠٨.

رأى القيامة رؤيا العين: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»(١).

كما أنه ﷺ نهى عن إطالة الصلاة مراعاة للعمل والعامل في حديث جَابِر بْن عَبْدِ اللهِ «أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَاةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ الْبَقَرَةَ، قَالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلَاةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا، فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ ثَلَاثًا اقْرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَنَحْوَهَا»(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري في الأدب المفرد باب اصطناع المعروف صـ١٦٨، ح رقم ٤٧٩.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً ٨/٢٦، ح رقم ٦١٠٦.

المبحث الثاني: الربط بين العمل والأخذ بالأسباب

السبب في اللغة: كل شيء يتوصل به إلى غيره[١]. ومن ثم يبين هذا المبحث كيف ربطت الثقافة الإسلامية بين العمل والأخذ بالأسباب.

المطلب الأول: قواعد السعي والعمل

تربط الثقافة الإسلامية بين العمل وبين الأخذ بالأسباب ولا تجعل العمل نافلة يجود بها الإنسان على نفسه أو مجتمعه، بل هو تكليف رباني: ﴿**وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**﴾[٢]، وإذا كان هذا أمرًا بالعمل بشموله فإن الآية الأخرى جاءت بلفظ الأمر أيضًا: ﴿**فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ**﴾[٣]، فالمشي في أرجاء الدنيا بعيدة أو قريبة وسيلة للرزق، بل هو السبيل إلى استبقاء الروح طالما كان الإنسان حيًا، وهي بذلك تتفق مع سنن الله الكونية في أنه لا مكان لقاعد عن السعي دون عذر في الحصول على الرزق أو السعة فيه أو حتى حد الكفاف.

وفى ذلك يقول الإمام الماوردي ﷺ: «ولما خلق الله الإنسان ماس الحاجة ظاهر العجز جعل لنيل حاجته أسبابا، ولدفع عجزه حيلا دله عليها بالعقل، وأرشده إليها بالفطنة. قال الله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾ [الأعلى: ٣] . قال مجاهد: قدر أحوال خلقه فهدى إلى سبيل الخير والشر، وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿**وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ**﴾ [البلد: ١٠] . يعني الطريقين: طريق الخير وطريق الشر. ثم لما كان العقل دالًا على أسباب ما تدعو إليه الحاجة، جعل الله تعالى الإدراك

---

(١) المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية مادة (سبب) صـ٢٩٩.

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٥.

(٣) سورة الملك من الآية ١٥.

والظفر موقوفًا على ما قسم وقدر كي لا يعتمدوا في الأرزاق على عقولهم، وفي العجز على فطنهم، لتدوم له الرغبة والرهبة، ويظهر منه الغنى والقدرة...، ثم إن الله تعالى جعل أسباب حاجاته وحيل عجزه في الدنيا التي جعلها دار تكليف وعمل، كما جعل الآخرة دار قرار وجزاء، فلزم لذلك أن يصرف الإنسان إلى دنياه حظًا من عنايته؛ لأنه لا غنى به عن التزود منها لآخرته، ولا له بد من سد الخلة فيها عند حاجته...، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧-٨] . قال أهل التأويل: فإذا فرغت من أمور دنياك فانصب في عبادة ربك...، قال ﷺ: «ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه»(١). وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «نِعْمَ الْمَطِيَّةُ الدُّنْيَا فَارْتَحِلُوا تُبَلِّغُكُمُ الْآخِرَةَ»(٢). وذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب، فقال رضي الله عنه: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها»(٣).

وتضع الثقافة الإسلامية عدة قواعد للسعي والعمل لطلب الرزق منها:

١. أن الأرض ملك للإنسان:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٤).

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ

---

(١) أخرجه: ابن أبي الدنيا في إصلاح المال صـ٣٤، ح رقم ٥٠.

(٢) أخرجه: ابن أبي الدنيا في إصلاح المال صـ٤٨، ح رقم ١٠٢.

(٣) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ١٣٠، ١٣١.

(٤) سورة البقرة من الآية ٢٩.

﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾[١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٤].

والتعبير في الآيات بلفظ «لكم» يدل على نعمة عظمى للإنسان كل إنسان وهي أنه مستخلف في هذه الأرض، مالك لما فيها، فاعل مؤثر فيها، إنه المالك بهذا الميراث الواسع في الكون، ودوره في الأرض وفى أحداثها هو الدور الفعال، إنه المالك السيد على الأرض، فالنعمة هنا ليست مجرد الإنعام عليهم بما في الأرض جميعًا، ولكنها مع ذلك سيادتهم على ما في الأرض جميعًا، والاستخلاف لعمارتها.

يقول العلامة الفخر الرازي ﷺ: «وأما قوله «لكم» فهو يدل على أن المذكور بعد قوله «خلق» لأجل انتفاعنا في الدين والدنيا، أما في الدنيا فليصلح أبداننا ولنتقوى به على الطاعات وأما في الدين فللاستدلال بهذه الأشياء والاعتبار بها، وجمع بقوله: «ما في الأرض جميعًا» جميع المنافع، فمنها ما يتصل بالحيوان والنبات والمعادن والجبال ومنها ما يتصل بضروب الحرف والأمور التي استنبطها

---

(١) سورة طه الآية ٥٣.

(٢) سورة الحج الآية ٦٥.

(٣) سورة الجاثية الآية ١٣.

(٤) سورة الملك الآية ١٥.

العقلاء وبين تعالى أن كل ذلك إنما خلقها كي ينتفع بها، كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣] »[(١)].

وقال العلامة القرطبي ﷺ: «خلق لكم»: أي من أجلكم. وقيل: المعنى أن جميع ما في الأرض منعم به عليكم فهو لكم»[(٢)].

وما دامت الأرض ملكًا للإنسان فعليه أن يحسن تملكها، فلا يجور عليها باستهلاك مسرف أو استخدام جائر لمواردها، فإنها لن تبخل عليه بعطاء الله الذي فيها.

٢. أن سنة الله في الكون أن الرزق مكفول بوعد الله تعالى:

نجده في قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[(٣)]، والآية هنا تتحدث عن ضمان الله رزق عباده تفضلًا وكرمًا، واستخدمت الآية لفظ «دابة» لتشمل كل ما يدب على الأرض من إنسان أو حيوان أو طير أو حشرات.. إلخ.

والرزق حقيقته ما يتغذى به الحي، ويكون به بقاء روحه ونماء جسده، وليس المقصود بضمان الرزق أن هناك رزقًا فرديًا مقدرًا لا يأتي بالسعي ولا يتأخر بالقعود ولا يضيع بالسلبية والكسل، كما يعتقد بعض الناس وإلا فأين الأسباب التي أمر الله بالأخذ بها، وجعلها جزءًا من نواميسه؟ وأين حكم الله في إعطاء المخلوقات هذه المقدرات والطاقات؟ وكيف تترقى الحياة في مدارج الكمال المقدر لها في علم الله وقد استخلف عليها الإنسان ليؤدي دوره في هذا المجال؟ إن لكل مخلوق رزقًا هذا حق، وهذا الرزق مذخور في هذا الكون. مقدر من الله في سننه التي ترتب النتائج على الجهد،

---

(١) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي ٣٧٩/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٣٧٩/٢.

(٣) سورة هود الآية ٦.

فلا يقعدن أحد عن السعي وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضةً، ولكن السماء والأرض تزخران بالأرزاق الكافية لجميع المخلوقات، حين تطلبها هذه المخلوقات حسب سنة الله، التي لا تحابي أحدًا، ولا تتخلف، ولا تحيد.

إنما هو كسب طيب وكسب خبيث، وكلاهما يحصل من عمل وجهد، إلا أنه يختلف في النوع والوصف، وتختلف عاقبة المتاع بهذا أو ذاك.

وإن كان الرزق مكفولًا بفضله تعالى؛ إلا أنه مربوط بالأسباب في السعي والعمل والإتقان والإجادة، فلا رزق دون عمل وسعي: ﴿**فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ**﴾[1]، أي: ابذلوا كل جهدكم في سبيل الحصول على الرزق، وأن العمل ليس نافلة يجود بها الإنسان على نفسه أو مجتمعه، بل هو تكليف رباني.

وإذا كان القرآن الكريم قد طلب السعي وأمر به فإن السنة النبوية طلبت ذلك أيضًا:

عَنِ المِقْدامِ ﷺ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[2].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ»[3].

---

(١) سورة الملك من الآية ١٥.

(٢) سبق تخريجه صـ٧.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه ك البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده ٥٧/٣، ح رقم ٢٠٧٢.

المطلب الثاني: النهي عن الكسل والقعود عن العمل

١. حذرت الثقافة الإسلامية من البطالة والكسل والقعود عن العمل:

فقالت: إن الحياة حركة، والحركة دليل الحياة، والعمل هو هذه الحركة وذاك الجهد الذي يحيي الحياة ويجعلها طيبة هنية، ومن ثم لا تستقيم الحياة بغير عمل.. عمل صالح.. منتج للخير.. متقن؛ لذلك فطر الله الإنسان على العمل والسعي ليعمر هذه الحياة: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[١]، إلا أنه قد يصاب الإنسان بمرض الخمول والكسل وحب الخلود والراحة وكراهية العمل ومشاقه، فيلقى بخموله هذا تبعة عيشه على غيره، فيتسول ويمد يده للناس، أو يسلك سبلًا محرمة للحصول على قوته؛ لذلك ربطت الثقافة الإسلامية الإيمان بالعمل، فلا يذكر الإيمان إلا مقرونًا بالعمل، ولا يذكر المؤمنون إلا بوصف العمل: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا**﴾[٢]، ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**﴾[٣]، ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا**﴾[٤]، ﴿**إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾[٥]. وذلك ليقطع دابر البطالة ويعلن أنها لا تجتمع مع الإيمان لا في معنى ولا في مبنى.

هذا، وقد استفاضت السنة المشرفة بالنصوص النبوية التي تحذر من البطالة والقعود عن

---

(١) سورة هود من الآية ٦١.

(٢) سورة النساء الآية ٩٧.

(٣) سورة الكهف الآية ٣٠.

(٤) سورة الكهف من الآية ١١٠.

(٥) سورة التين الآية ٦.

العمل، ثم سؤال الناس أموالهم، ففي الحديث المتفق عليه عن عَبْد اللهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»(١).

قال الإمام النووي ﷺ: «قال القاضي: قيل: معناه يأتي يوم القيامة ذليلًا ساقطًا لا وجه له عند الله، وقيل: هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه...، وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالًا منهيًا عنه وأكثر منه»(٢).

وعند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يسأل جمرًا. فليستقل أو ليستكثر»(٣).

قال الإمام النووي ﷺ: «قال القاضي: معناه أنه يعاقب بالنار ويحتمل أن يكون على ظاهره، وأن الذي يأخذه يصير جمرًا يكوى به»(٤).

وفي نفس الوقت تعالج السنة النبوية هذا المرض بإعلاء همة الإنسان ليعمل ويكسب، فعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»(٥).

وحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ وَالْمَسْأَلَةَ: الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً ٢/١٢٣، ح رقم ١٤٧٤، ومسلم في صحيحه ك الزكاة، باب كراهة المسألة للناس ٢/٧٢٠، ح رقم ١٠٤٠.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي ٧/١٣٠.

(٣) أخرجه: مسلم في صحيحه ك الزكاة، باب كراهية المسألة للناس ٢/٧٢٠، ح رقم ١٠٤١.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي ٧/١٣١.

(٥) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ٢/١١٢، ح رقم ١٤٢٧.

السَّائِلَةُ»[١].

ومن حديث أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ. قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَبِيبُ الْأَمِينُ. أَمَّا هُوَ فَحَبِيبٌ إِلَيَّ. وَأَمَّا هُوَ عِنْدِي، فَأَمِينٌ. عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ. قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً. فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟ » وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ. فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ! ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟ »، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ! ثُمَّ قَالَ: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟ »، قال: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ! فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ. وَتُطِيعُوا (وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً) وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ. فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ[٢].

ومن حديث ثوبان قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تكفَّلَ لي ألا يَسْألَ الناسَ شيئًا وأتكفَّلَ له بالجنة»، فقال ثوبانُ: أنا، فكان لا يسألُ أحدًا شيئًا[٣].

ومن حديث قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ. قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا. فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ. فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا». قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبِيصَةُ! إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ. وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ (أَوَ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) . وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ. فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ. حَتَّى يُصِيبَ

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ١١٢/٢، ح رقم ١٤٢٩، ومسلم في صحيحه ك الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة، وأن السفلى هي الآخذة ٧١٧/٢، ح رقم ١٠٣٣.

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه ك الزكاة، باب كراهية المسألة للناس ٧٢١/٢، ح رقم ١٠٤٣.

(٣) أخرجه: أبو داود في سننه ك الزكاة، باب كراهية المسألة ٨٣/٣، ح رقم ١٦٤٣.

قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ (أَوَ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) فَمَا سواهن من المسألة، يا قبيصة! سحتًا يأكلها صاحبها سحتًا»(١).

وحفز النبي ﷺ الإنسان على السعي لصيانة نفسه وحفظ كرامته، ففي حديث الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ»(٣).

ومن حديث أَبِي كَبْشَةَ الأَنَّمَارِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ» قَالَ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا»(٤).

ومن علو الهمة أن يطلب الزيادة في الرزق، ويلتمس الكثرة منه ليصرفها في وجوه الخير، ويصون دينه وعرضه.

هذا، وقد عنون الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين «أسباب المعايش»، تحدث فيه عن أنواع المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة، ثم بين حال الإنسان بين هذه الأسباب وأنه على ثلاثة

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه ك الزكاة، باب من تحل له المسألة ٢/٧٢٢، ح رقم ١٠٤٤.

هذا، والحمالة: هي بفتح الحاء وهي المال الذي يتحمله الإنسان، أي: يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين، كالإصلاح بين قبيلتين، ونحو ذلك. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي ٧/١٣٣.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ٢/١٢٣، ح رقم ١٤٧١.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ٢/١٢٣، ح رقم ١٤٧٠.

(٤) أخرجه: الترمذي في سننه أبواب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ٤/٥٦٢، ح رقم ٢٣٢٥.

أحوال:

أحدها: أن يطلب منها قدر كفايته، ويلتمس وفق حاجته، من غير أن يتعدى إلى زيادة عليها، أو يقتصر على نقصان منها. فهذه أحد أحوال الطالبين، وأعدل مراتب المقتصدين...

والأمر الثاني: أن يقصر عن طلب كفايته، ويزهد في التماس مادته. وهذا التقصير قد يكون على ثلاثة أوجه: فيكون تارة كسلًا، وتارة توكلًا، وتارة زهدًا وتقنعًا. فإن كان تقصيره لكسل فقد حرم ثروة النشاط، ومرح الاغتباط، فلن يعدم أن يكون كلا قصيًا، أو ضائعًا شقيًا. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كَادَ الْحَسَدُ يَغْلِبُ الْقَدَرَ، وَكَادَ الْفَقْرُ يَكُونُ كُفْرًا»[(١)]... ووجد في نيل مصر مكتوب على حجر:

عقب الصبر نجاح وغنى ورداء الفقر من نسج الكسل[(٢)]

وقد قيل في منثور الحكم: من دام كسله خاب أمله. وقال بعض الحكماء: نكح العجز التواني فخرج منهما الندامة، ونكح الشؤم الكسل فخرج منهما الحرمان[(٣)]، والعرب تقول: من قَلَّ ذل[(٤)].

وأما الصيانة وهي الثالث من شروط المروءة، فنوعان:

أحدهما: صيانة النفس بالتماس كفايتها وتقدير مادتها.

والثاني: صيانتها عن تحمل المنن من الناس والاسترسال في الاستعانة. وأما التماس الكفاية وتقدير المادة؛ فلأن المحتاج إلى الناس كل مهتضم وذليل مستثقل. وهو لما فطر عليه، محتاج إلى ما يستمده ليقيم أود نفسه، ويدفع ضرورة وقته. وقد قالت العرب في أمثالها: كلب جوال خير من

---

(١) أخرجه: ابن أبي الدنيا في إصلاح المال صـ١٢١، ح رقم ٤٤٠.

(٢) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ٢١٥، ٢١٦.

(٣) المرجع السابق صـ٣٢٠.

(٤) المرجع السابق صـ١٤٧.

أسد رابض[١].

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة فقال: العفة والحرفة. وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني لا تكن على أحد كلا فإنك تزداد ذلا، واضرب في الأرض عودًا وبدءًا، ولا تأسف لمال كان فذهب، ولا تعجز عن الطلب لوصب ولا نصب. فهذا حال اللازم[٢].

وقال زياد لبعض الدهاقين: ما المروءة فيكم؟ قال: اجتناب الريب فإنه لا ينبل مريب، وإصلاح الرجل ماله فإنه من مروءته وقيامه بحوائجه وحوائج أهله فإنه لا ينبل من احتاج إلى أهله ولا من احتاج أهله إلى غيره[٣].

٢. حاربت الثقافة الإسلامية كل دعوى تجعل الكسل عن العمل والتواكل شيئًا مشروعًا:

وقفت الثقافة الإسلامية أمام تحريف البعض للنصوص أو سوء تأويلها كما حاول بعض الجهلاء أن يأخذوا من قوله تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ**﴾[٤]. دليلًا على القعود عن العمل؛ لأن الرزق مكفول بنص الآية فلم السعي والتعب؟! وسكت هؤلاء عن الآيات الكثيرة التي أمرت بالسعي والعمل، ثم أين الأخذ بالأسباب التي أمر الله بالأخذ بها وجعلها جزءًا من سننه في الأرض؟! وكذلك درج بعض الجهلة من الكسالى والمغفلين على أن يؤولوا حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»[٥]، تأويلًا فاسدًا يستدلون به

---

(١) المرجع السابق صـ٣٢٨.

(٢) المرجع السابق صـ٣٢٩.

(٣) المرجع السابق صـ٣٣١.

(٤) سورة هود الآية ٦.

(٥) سبق تخريجه صـ١١.

على أن التوكل على الله يضمن الرزق كما هو في الطير فلا داعي للحركة والعمل، ونسى هؤلاء أو تناسوا ما في الحديث الشريف من إثبات أن الطيور تسعى غدوًا ورواحًا حيث تستيقظ مع أول ضوء للصباح وحواصلها فارغة وتطير هنا وهناك تبتغي رزقها فتعود إلى عشها وحواصلها ملأي بالغذاء لها ولفراخها، ولو مكثت الطيور في عشها ما أكلت وما شربت وما أكل أفراخها ولا شربوا.

نعم، إن لكل مخلوق رزقًا هذا حق، وهذا الرزق مقدر في السماء ومركوز في الأرض، ومقدر من الله سبحانه، الذي جعل من سننه ترتيب النتائج على الجهد، ومن سننه كذلك أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، وهي مع الأرض تزخران بالأرزاق الكافية لجميع المخلوقات حين تطلبها بناء على سنته تعالى التي لا تحابي أحدًا، بل من يسعى ويعمل يُعطى ويُرزق ومن يكسل ويقعد فلا يحق له أن يتمسح في الوحي قرآنًا أو سنة يريد أن يسوق النصوص لتوافق كسله وبطالته.

هذا، وللعلامة القرطبي كلام جيد في هذا المعنى يقول فيه: «قال لي بعض مشايخ هذا الزمان في كلام جريء: إن الأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا ليسنوا الأسباب للضعفاء، فقلت مجيبًا له: هذا قول لا يصدر إلا من الجهال والأغبياء، والرعاع السفهاء، أو من طاعن في الكتاب والسنة العلياء، وقد أخبر الله تعالى في كتابه عن أصفيائه ورسله وأنبيائه بالأسباب والاحتراف فقال وقوله الحق: ﴿**وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ**﴾[(١)]. وقال: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ**﴾[(٢)]، قال العلماء: أي يتجرون ويحترفون. وقال ﷺ: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»[(٣)]، وقال تعالى: ﴿**فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا**﴾[(٤)]، وكان الصحابة ﷺ يتجرون ويحترفون وفي أموالهم

---

(١) سورة الأنبياء من الآية ٨٠.

(٢) سورة الفرقان من الآية ٢٠.

(٣) أخرجه: البخاري معلقًا ك الجهاد والسير، باب ما قيل في الرماح ٤٠/٤.

(٤) سورة الأنفال من الآية ٦٩.

يعملون، ومن خالفهم من الكفار يقاتلون، أتراهم ضعفاء! بل هم كانوا والله الأقوياء، وبهم الخلف الصالح اقتدى، وطريقهم فيه الهدى والاهتداء. قال: إنما تناولوها لأنهم أئمة الاقتداء، فتناولوها مباشرة في حق الضعفاء، فأما في حق أنفسهم فلا، وبيان ذلك أصحاب الصفة. قلت: لو كان ذلك لوجب عليهم وعلى الرسول معهم البيان، كما ثبت في القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ الآية[٢]. وهذا من البينات والهدى. وأما أصحاب الصفة فإنهم كانوا ضيف الإسلام به، وهو معنى قوله ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[٣]، فغدوها ورواحها سبب، فالعجب العجب ممن يدعي التجريد والتوكل على التحقيق، ويقعد على ثنيات الطريق، ويدع الطريق المستقيم، والمنهج الواضح القويم. ثبت في البخاري عن ابن عباس قال: «كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾[٤]. ولم ينقل عن النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أنهم خرجوا إلى أسفارهم بغير زاد، وكانوا المتوكلين حقًا. والتوكل اعتماد القلب على الرب في أن يلم شعثه ويجمع عليه أربه، ثم يتناول الأسباب بمجرد الأمر. وهذا هو الحق»[٥].

---

(١) سورة النحل من الآية ٤٤.

(٢) سورة البقرة من الآية ١٥٩.

(٣) سبق تخريجه صـ١١.

(٤) سورة البقرة من الآية ١٩٧. والحديث أخرجه: البخاري في صحيحه ك الحج، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ١٣٣/٢، ح رقم ١٥٢٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٤/١٣-١٦ بتصرف يسير.

وكذلك رد رحمه الله على من تأول الآية الكريمة: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[١]، تأويلًا فاسدًا، أراد منه في النهاية تشريع القعود والكسل عن العمل اعتمادًا على ضمان الرزق؛ لأن الله وعد بذلك في الآية، فقال ﷺ: «لا يقال فقد قال الله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، فإنا نقول: صدق الله العظيم، وصدق رسوله الكريم، وإن الرزق هنا المطر بإجماع أهل التأويل، بدليل قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾[٢]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾[٣]، ولم يشاهد ينزل من السماء على الخلق أطباق الخبز ولا جفان اللحم، بل الأسباب أصل في وجود ذلك»[٤].

وبذلك تقضي الثقافة الإسلامية على البطالة والاعتماد على الغير في طلب الرزق؛ لأن القعود عن العمل سبب للحرمان من الرزق أو سبب للضيق فيه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٥]، فلا يلومن متكاسل إلا نفسه فردًا أو دولة.

---

(١) سورة الذاريات الآية ٢٢.

(٢) سورة غافر من الآية ١٣.

(٣) سورة ق الآية ٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٥/١٣. وانظر له أيضًا: قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة.

(٥) سورة النجم الآية ٣٩.

المبحث الثالث: محفزات العمل في الثقافة الإسلامية

وضعت الثقافة الإسلامية للعمل والعمال محفزات الإجادة والإتقان، حتى تخرج الأعمال مثمرة نافعة، ومن هذه المحفزات:

- **حدد الإسلام العلاقة بين العامل وصاحب العمل فجعلهما طرفين في عقد العمل، على كل واحد مراعاة الواجبات والحقوق للطرف الآخر:**

فالعامل عليه أن يتقن عمله ويبدع فيه، ويتقي الله في صاحب العمل فيعطيه عمله متقنًا غير منقوص: «وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١)، وعلى صاحب العمل أن يتقي الله في العامل فيعطيه حقه أيضًا غير منقوص: «أَعْطُوا الْأَجِيرَ حَقَّهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ»(٢)، واعتبار من أكل حق العامل مجرمًا: ««ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»(٣)، وبذلك يدرك الاثنان أنهما مسؤولان أمام الله تعالى، ومن ثم يتوفر الأمان المطلوب لنجاح العمل.

هذا، وقد أوصى النبي ﷺ بالعامل «على العموم»، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه: «... هُمْ إِخْوَانُكُمْ [أي الخدم]، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ»(٤).

- **<u>ومن هذا التحفيز أيضًا</u>** اعتبار ما يعمل العامل عملًا في سبيل الله، ففي حديث العامل الشاب

---

(١) جزء من حديث، أخرجه: البخاري في صحيحه ك الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ٥/٢، ح رقم ٨٩٣.

(٢) جزء من حديث أخرجه: ابن زنجويه في الأموال ك الصدقة وأحكامها وسننها، باب التحضيض على إعطاء السائل وإن كان غنياً ١١٢٦/٣، ح رقم ٢٠٩١.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الإجارة، باب إثم من منع أجر الأجير ٩٠/٣، ح رقم ٢٢٧٠.

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الأدب، باب ما ينهى من السب واللعن ١٦/٨، ح رقم ٦٠٥٠،

الذي خرج يسعى طلبًا للرزق، عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَأَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَهْلِهِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى تَفَاخُرًا وَتَكَاثُرًا فَفِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ»(١).

• **ومن هذا التحفيز** اعتبار العمل الصالح في طلب الرزق الحلال من مكفرات الذنوب: «إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَلَا الصِّيَامُ وَلَا الْحَجُّ وَلَا الْعُمْرَةُ» قَالُوا: فَمَا يُكَفِّرُهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْهُمُومُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ»(٢).

هذا في الدنيا، أما في الآخرة فالأمر أحسن أجرًا: «مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا اسْتِعْفَافًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ، وَسَعْيًا عَلَى أَهْلِهِ، وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ، لَقِيَ اللهَ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»(٣)، «خَيْرُ الْكَسْبِ، كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ»(٤).

• **ومن المحفزات** للعمل والإجادة فيه بشارة القرآن للعامل المخلص دينًا ودنيا بحياة دنيوية طيبة وآخرة فيها الأجر الجزيل في جنة النعيم: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾(٥).

---

(١) أخرجه: الطبراني في المعجم الصغير ١٤٨/٢، ح رقم ٩٤٠.

(٢) أخرجه: الطبراني في المعجم الأوسط ٣٨/١، ح رقم ١٠٢.

(٣) جزء من حديث، أخرجه: ابن أبي شيبة في المصنف ك البيوع والأقضية، باب في التجارة والرغبة فيها ٤٦٧/٤، ح رقم ٢٢١٨٦.

(٤) أخرجه: أحمد في مسنده ١٣٦/١٤، ح رقم ٨٤١٢.

(٥) سورة النحل الآية ٩٧.

هذا، وقد نكّر القرآن الكريم لفظ «طيبة» ونونه، لتعظيم معنى الطيبة هنا لتذهب النفس في تصور طيبها كل مذهب فهي أطيب مما وصل إليه الخاطر، ومن ثم تعددت تفسيرات الصحابة ومن تبعهم لكلمة طيبة، ومجمل أقوالهم إنها: طيبة بالرزق الحلال، والقناعة، والتوفيق إلى الطاعة، والسعادة والاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق جل وعلا[١].

وينقل العلامة الرازي عن الإمام الواحدي ثناءه على القول بأنها القناعة؛ حيث قال: «إن القناعة حسن مختار؛ لأنه لا يطيب عيش أحد في الدنيا إلا عيش القانع، وأما الحريص فإنه يكون أبدًا في الكد والعناء»[٢].

أقول: إن العامل المؤمن يبذل جهده قدر استطاعته ويأخذ بالأسباب ولا يقصر، وما وصله من رزق بعد ذلك هو به قانع فتأتيه السعادة والحياة الطيبة في أعلى معانيها.

نعم، إن الحياة الطيبة لا يشترط أن تكون ناعمة غنية بالثروة والمال، فقد تكون به وعندئذ وجب الشكر وتوظيفها في الخير، وقد تكون من غير كثرة المال ففي الحياة أشياء كثيرة تطيب بها الحياة في حدود الكفاية منها الاتصال بالله والرضا بما رزق، ومنها الستر والصحة وهدوء البال والبركة، وصلاح البيت والأهل ومودة القلوب، ومنها الفرح بالعمل الصالح والتوفيق له، وكل ذلك لا ينقص من الأجر الحسن في الآخرة.

قال الإمام ابن عطية ﷺ: «والذي أقول: إن طيب الحياة اللازم للصالحين إنما هو بنشاط نفوسهم ونُبْلها وقوة رجائهم، والرجاء للنفس أمر ملذ، فبهذا تطيب حياتهم وأنهم احتقروا الدنيا

---

(١) ارجع إلى: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٠/١٧٤، مفاتيح الغيب: الفخر الرازي ٢٠/٢٦٧.

(٢) المرجع السابق ٢٠/٢٦٧.

فزالت همومها عنهم، فإن انضاف إلى هذا مال حلال وصحة، أو قناعة فذلك كمال»[١].

• **ومن المحفزات كذلك** بناء ثقافة المسلم على اليقين أنه بعمله وسعيه يتبع سنة الأنبياء عليهم السلام، ويسير في قافلتهم الزاكية من لدن آدم إلى محمد، فهم جميعًا كانوا يعملون ويأكلون من كسب أيديهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[٢]. وفى الآية ينادي الله رسله وأنبياءه عليهم السلام ويأمرهم «بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء، عليهم السلام، بهذا أتم القيام. وجمعوا بين كل خير، قولًا وعملًا ودلالة ونصحًا، فجزاهم الله عن العباد خيرًا، قال الحسن البصري في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قال: أما والله ما أمروا بأصفركم ولا أحمركم، ولا حلوكم ولا حامضكم، ولكن قال: انتهوا إلى الحلال منه. وقال سعيد بن جبير، والضحاك: ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني: الحلال، وفي الصحيحين: إن أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب القيام إلى الله قيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لاقى»[٣]. وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثم ذكر الرجل يطيل

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية ٤١٩/٣.

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥١.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الصوم، باب حق الأهل في الصوم ٤٠/٣، ح رقم ١٩٧٧، ومسلم في صحيحه ك الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم ٨١٤/٢، ح رقم ١١٥٩.

السفر أشعث أغبر، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، فأنى يستجاب لذلك»[١]،[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾[٣].

قال العلامة القرطبي رحمه الله: نزلت جوابًا للمشركين حيث قالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾[٤]. وقال ابن عباس: لما عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة وقالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ الآية، حزن النبي ﷺ لذلك فنزلت تعزية له، فقال جبريل عليه السلام: السلام عليك يا رسول الله! الله ربك يقرئك السلام ويقول لك: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾، أي يبتغون المعايش في الدنيا...، وهذه الآية أصل في تناول الأسباب وطلب المعاش بالأسباب والاحتراف، فقال وقوله الحق: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ﴾[٥]. وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾، قال العلماء: أي يتجرون ويحترفون...، فالقول بالأسباب والوسائط سنة الله وسنة رسوله، وهو الحق المبين، والطريق المستقيم الذي انعقد عليه إجماع المسلمين»[٦].

فالأنبياء كانوا أهل حرفة يعيشون منها فمنهم راعي الغنم، ومنهم التاجر، ومنهم الزارع

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه ك الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٧٠٣/٢، ح رقم ١٠١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٤٧٧/٥.

(٣) سورة الفرقان الآية ٢٠.

(٤) سروة الفرقان من الآية ٧.

(٥) سورة الأنبياء من الآية ٨٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٢/١٣-١٥.

الحراث، ومنهم النجار، ومنهم الخياط، ومنهم البناء، والبزاز، ومنهم الصياد، ومنهم الحداد صانع الدروع، ومنهم الاقتصادي العبقري، ومنهم صانع النحاس، ومنهم العامل أجيرًا في مال صاحبه حتى ينميه(١).

وهذه أمثلة على ذلك:

• **آدم عليه السلام:** كان حراثًا يحرث الأرض ويزرع، وكان حائكًا، وكانت حواء غزالة، فكان يأكل من عمل يده، وبالتالي كان يدفع أولاده إلى العمل والأخذ بالأسباب.

• **ونوح عليه السلام:** كان نجارًا، كما بين القرآن الكريم: ﴿**أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**﴾(٢)، فصنع السفينة برعاية الله وتعليمه له كيف يصنعها، وحينما أتقن حرفة النجارة وأخذ يصنع الفلك سخر منه قومه وسخروا من حرفته، فكانوا يقولون له: «يا نوح كنت تدعي رسالة الله تعالى فصرت بعد ذلك نجارًا...، ولو كنت صادقًا في دعواك لكان إلهك يغنيك عن هذا العمل الشاق»(٣).

ونقل العلامة القرطبي رحمه الله عن القاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿**أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**﴾، قال نوح: يا رب ما أنا بنجار، قال: «بلى فإن ذلك بعيني»، فأخذ القدوم فجعله بيده، وجعلت يده لا تخطئ(٤).

أقول: فنبهت الآيات بذلك على شرف العمل وألا تحتقر مهنة نافعة، وصنعة مفيدة، فما دامت

---

(١) للمزيد ارجع إلى: البركة في السعي والحركة: الوصابي صـ٦.

(٢) سورة المؤمنون من الآية ٢٧.

(٣) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي ٣٤٥/١٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٣١/٩.

تقدم الخير والنفع فهي من العمل الصالح.

• **وإدريس عليه السلام:** كام له عدة مهن، قال العلامة القرطبي رحمه الله: «إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها»[(١)]. فجمع الله له هذه المهن والعلوم ليأكل من عمل يده.

• **وكان هود وصالح عليهما السلام:** تاجرين.

• **وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:** على حرفة البناء وهندسته: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾[(٢)]، لقد زار إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل في مكة عدة مرات، وفى مرة قال لإسماعيل: إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: أعينك، قال: إن الله أمرني أن أبني هنا بيتًا، فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾[(٣)]. وقال بعض العلماء: أن إبراهيم عليه السلام كان بزازًا[(٤)].

• **وإسماعيل عليه السلام:** كان صيادًا يجيد حرفة الصيد يسعى بها على معاشه وأهله، ففي حديث ابن عباس عن قصة هاجر وإسماعيل وفيها قول النبي ﷺ عن زيارة إبراهيم لولده إسماعيل: «فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل ليطالع تركته. فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١١٧/١١.

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٧.

(٣) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: أحمد شاكر ١٨١/١.

(٤) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان: الشيخ إسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٣٧هـ)، اختصار: الشيخ محمد على الصابوني ٤٧٣/٢.

يبتغي لنا»[١].

• **وأيوب** عليه السلام: كان زارعًا.

• **وموسى** عليه السلام: رعى غنم حَمِيه عشر سنوات وعمل في ماله حتى أمر بالعودة إلى مصر، كما جاء في سورة القصص: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾[٢].

قال العلامة ابن كثير رحمه الله: طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى عنه ثماني سنوات فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك، فرضي موسى بذلك، وقال لصهره: الأمر على ما قلت إنك استأجرتني على ثمان سنين فإن أتممت عشرًا فمن عندي[٣].

• **وزكريا** عليه السلام: كان نجارًا، فعند مسلم عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا»[٤].

• **وداود** عليه السلام: كان حدادًا يجيد صناعة الدروع بطريقة رائعة، حيث يصنعها رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيلها وتحريكها بحركة الجسم وتضييق هذه الرقائق لتكون محكمة لا تنفذ منها الرماح - بعد أن كانت قبله تصنع من الصفائح - الدروع صفيحة واحدة، فكانت تصلب

---

(١) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: أحمد شاكر ٨٠/١.

(٢) سورة القصص الآيتان ٢٧، ٢٨.

(٣) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: أحمد شاكر ٧٦٧/٢ بتصرف يسير.

(٤) أخرجه: مسلم في صحيحه ك الفضائل، باب من فضائل زكرياء عليه السلام ١٨٤٧/٤، ح رقم ٢٣٧٩.

الجسد وتثقله، فأجاد في هذه الصنعة حتى تعلمها الناس فعمت النعمة بها آخر الدهر[١].

قال الإمام الرازي ﷺ: «قيل إنه (داود) طلب من الله أن يغنيه عن أكل مال بيت المال، فألان له الحديد وعلمه صنعة اللبوس وهي الدروع»[٢].

وقال رحمه الله: «وسبب ذلك أن داود عليه السلام، لما ملك بني إسرائيل لقي ملكا وداود يظنه إنسانًا، وداود متنكر خرج يسأل عن نفسه وسيرته في بني إسرائيل في خفاء، فقال داود لذلك الشخص الذي تمثل له: (ما قولك في هذا الملك داود)؟ فقال له الملك (نعم العبد لولا خلة فيه) قال داود: (وما هي)؟ قال: (يرتزق من بيت المال ولو أكل من عمل يده لتمت فضائله) . فرجع فدعا الله في أن يعلمه صنعة ويسهلها عليه، فعلمه صنعة لبوس، فألان له الحديد فصنع الدروع»[٣].

أقول: وفى قوله تعالى: ﴿**أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ**﴾[٤]، أمر من الله تعالى بإتقان المهنة والإخلاص فيها والنصح لمن ينتفع بها، فإن ذلك هو العمل الصالح الذي يطلع عليه الله تعالى ويثيب من يفعله.

قال الإمام الرازي رحمه الله: «ثم أكد طلب الفعل الصالح بقوله: ﴿**إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ**﴾، وقد ذكرنا مرارًا أن من يعمل لملك شغلًا ويعلم أنه بمرأى من الملك يحسن العمل ويتقنه ويجتهد فيه»[٥].

هذا، وقد جعل النبي ﷺ داود وعمله نموذجًا للعمل والكسب الطيب ودفع الناس إلى القدوة

---

(١) تنوير الأذهان من روح البيان: إسماعيل حقي، اختصار الشيخ محمد على الصابوني ٤٧٣/٢.

(٢) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي ١٩٦/٢٥.

(٣) المرجع السابق ٢٦٦/١٤.

(٤) سورة سبأ الآية ١١.

(٥) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي ١٩٧/٢٥.

به في ذلك؛ حيث جاء في الحديث: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»(١).

• **وسليمان عليه السلام:** كان رجل عمارة وبناء للمصانع العظيمة؛ لذلك أنشأ الهيكل وما حوله من المباني العظيمة الضخمة بالحجارة العظيمة هي هندسة معمارية بديعة، وقد أعانه على ذلك أن الله تعالى أسال له عين القطر وهو النحاس المذاب؛ حيث تقذف له العين النحاس مذابًا؛ لأنها كانت منصهرة بالنار، فالنحاس المختلط بتلك الصخور ينصهر ويتفجر سائلًا من فوهة تلك العين، فيأتي عماله ويأخذونه للانتفاع به في هذه الصناعات ونحوها مما يحتاج إليه سليمان(٢).

• **ويوسف عليه السلام:** كان رجل اقتصاد عبقري يجيد الإمكانيات المتاحة والتخطيط الجيد لمعالجة الأزمات؛ حيث تولى وزارة المالية في مصر وعمل فيها بعلم وحكم وروية فادخر الأقوات في أعوام الرخاء حتى إذا جاءت السنوات العجاف أنقذ الله مصر وما حولها من البلاد من خطر المجاعة.

• **ومحمد ﷺ:** كان راعيًا للغنم، وقد سئل عن ذلك فأخبر أن كل الأنبياء كانوا رعاة أغنام، وأنه كان يرعى الغنم لقريش على قراريط: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ. فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»(٣). فكان ﷺ يجيد هذه المهنة، ويربح فيها لصاحب المال كما كان في قيامه بالتجارة في مال خديجة: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قومًا تجارًا، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى

---

(١) سبق تخريجه صـ٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٢٦٧/١٤، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: أحمد شاكر ٨٢/٣، قصص الأنبياء: الشيخ عبد الوهاب النجار صـ٣٨١.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط ٨٨/٣، ح رقم ٢٢٦٢.

الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام(١). وهكذا ينطلق الناس إلى العمل بحافز اتباع سنة الأنبياء، وذلك فوز عظيم.

• **ومن المحفزات كذلك:** أن يعلم العامل أنه يتبع طريق الصحابة الكرام ﷺ في سعيهم وعملهم لكسب العيش وكف النفس عن الحاجة للغير، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عُمَّالَ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ، فَقِيلَ لَهُمْ: لَوِ اغْتَسَلْتُمْ»(٢). هذا، ومعنى أرواح: أي روائح من العرق.

وقال قتادة ﷺ: «كَانَ الْقَوْمُ يَتَبَايَعُونَ وَيَتَّجِرُونَ وَلَكِنَّهُمْ إِذَا نَابَهُمْ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ اللهِ لَمْ تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ حَتَّى يُؤَدُّوهُ إِلَى اللهِ»(٣).

هذا، وقد أورد الإمام البخاري روايتين تدلان على عمل الصحابة مهاجرين وأنصارًا في الزراعة والتجارة والضرب في الأسواق:

الأولى منهما: من حديث أبي هريرة ﷺ: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ صَفْقٌ بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً

---

(١) السيرة النبوية: ابن هشام ١٨٨/١.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه ك البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده ٥٧/٣، ح رقم ٢٠٧١ [واللفظ له]، ومسلم في صحيحه ك الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال. وبيان ما أمروا به ٥٨١/٢، ح رقم ٨٤٧.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه معلقًا ك البيوع، باب التجارة في البر ٥٥/٣.

مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ، أَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ: أَنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ، إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ، فَبَسَطْتُ نَمِرَةً عَلَيَّ، حَتَّى إِذَا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ»(١).

والثانية: من حديث عبيد بن عمير «أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ: اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَكَأَنَّهُ كَانَ مَشْغُولًا، فَرَجَعَ أَبُو مُوسَى، فَفَرَغَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، ائْذَنُوا لَهُ. قِيلَ: قَدْ رَجَعَ، فَدَعَاهُ، فَقَالَ: كُنَّا نُؤْمَرُ بِذَلِكَ. فَقَالَ: تَأْتِينِي عَلَى ذَلِكَ بِالْبَيِّنَةِ، فَانْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِ الْأَنْصَارِ فَسَأَلَهُمْ، فَقَالُوا: لَا يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا إِلَّا أَصْغَرُنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، فَذَهَبَ بِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَخَفِيَ عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ». يَعْنِي الْخُرُوجَ إِلَى تِجَارَةٍ(٢).

وكذلك في الصحاح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، فَأَسْرَعَ وَبَذَرَ، فَتَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَجِدُ هَذَا إِلَّا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه ك البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ٥٢/٣، ح رقم ٢٠٣٧.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه ك البيوع، باب الخروج في التجارة ٥٥/٣، ح رقم ٢٠٦٣.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه ك التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة ١٥١/٩، ح رقم ٧٥١٩.

قال العلامة الوصابي ﷺ: وفيه دليل على أن المهاجرين والأنصار كانوا زراعًا لقول الأعرابي: إنك لن تجده إلا أنصاريًا أو مهاجريًا، وهذا أكبر حجة ودلالة إذ المهاجرون والأنصار وهم أفضل الأمة كانوا أهل زرع[١].

وهاك أمثلة لهم:

• **أبو بكر الصديق ﷺ:** كان تاجرًا معروفًا موفور المال معروفًا بأمانته، يحبه العرب في الجاهلية لصدقه وأمانته، وكان عظيم النشاط في التجارة ليعول أهله وعياله ويتصدق بعد إسلامه في سبيل الله وخاصة في باب إعتاق العبيد والإماء ورفع العذاب عنهم، وله في ذلك القدح المعلى، وبعد أن صار خليفة للمسلمين أراد مزاولة مهنته في التجارة من أجل عياله فحمل أثوابًا وقصد السوق، فقال له عمر: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ قال إلى السوق. وقد أخرج الإمام البخاري ﷺ في صحيحه عن عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: «لَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَالَ: لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنَّ حِرْفَتِي لَمْ تَكُنْ تَعْجِزُ عَنْ مَؤُنَةِ أَهْلِي، وَشُغِلْتُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَسَيَأْكُلُ آلُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَيَحْتَرِفُ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ»[٢].

قال الحافظ في الفتح: «قلت: لكن في قصة أبي بكر أن القدر الذي كان يتناوله فرض له باتفاق من الصحابة، فروى ابن سعد بإسناد مرسل رجاله ثقات قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غاديًا إلى السوق على رأسه أثواب يتجر بها، فلقيه عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح فقال: كيف تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالوا: نفرض لك. ففرضوا له كل يوم

---

(١) البركة في السعي والعمل والحركة: الوصابي صـ١٣.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه ك البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده ٥٧/٣، ح رقم ٢٠٧٠.

شطر شاة»[١].

• **وهذا عمر بن الخطاب ﷺ:** يتاجر ويسعى إلى السوق يكسب رزقه وأولاده، وفى حديث عبيد بن عمير «أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ: اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَكَأَنَّهُ كَانَ مَشْغُولًا، فَرَجَعَ أَبُو مُوسَى، فَفَرَغَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، ائْذَنُوا لَهُ. قِيلَ: قَدْ رَجَعَ، فَدَعَاهُ، فَقَالَ: كُنَّا نُؤْمَرُ بِذَلِكَ. فَقَالَ: تَأْتِينِي عَلَى ذَلِكَ بِالْبَيِّنَةِ، فَانْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِ الْأَنْصَارِ فَسَأَلَهُمْ، فَقَالُوا: لَا يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا إِلَّا أَصْغَرُنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، فَذَهَبَ بِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَخَفِيَ عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ». يَعْنِي الْخُرُوجَ إِلَى تِجَارَةٍ[٢].

قال الحافظ في الفتح: «وكان احتياج عمر إلى الخروج للسوق من أجل الكسب لعياله والتعفف عن الناس»[٣].

وهو القائل: «لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللَّهُمَّ ارزقني وقد علم أنَّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة وإنما يرزق الله النَّاس بعضهم من بعض»[٤].

• **عبد الرحمن بن عوف ﷺ:** قدم إلى المدينة مهاجرًا بعد أن جرده المشركون من كل ما يملك، فما استكان ولا اتكل على غيره، ولكن طلب معرفة السوق، فدل عليه، فتاجر وكسب وتزوج، وها هو يحدث، فيقول: «لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر ٣٠٥/٤. وللمزيد انظر: تاريخ الدعوة في عهد الصديق أبي بكر ﷺ: للمؤلف.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه ك البيوع، باب الخروج في التجارة ٥٥/٣، ح رقم ٢٠٦٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر ٢٩٩/٤.

(٤) للمزيد انظر: تاريخ الدعوة في حياة الفارق عمر ﷺ: للمؤلف.

الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ، قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَزَوَّجْتَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَنْ، قَالَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: كَمْ سُقْتَ، قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»[(١)].

قال الحافظ في الفتح بعد إيراد حديث أبي هريرة عن عمل المهاجرين والأنصار في الأسواق والزراعة، وحديث أبي موسى مع عمر وقول عمر: ألهاني الصفق في الأسواق أي الخروج إلى التجارة: «والغرض من إيراد هذين الحديثين اشتغال بعض الصحابة بالتجارة في زمن النبي ﷺ وتقريره على ذلك، وفيه أن الكسب من التجارة ونحوها أولى من الكسب من الهبة ونحوها»[(٢)].

- وهذا زيد بن أرقم والبراء بن عازب ﷺ: كانا تاجرين على عهد رسول الله ﷺ، ففي البخاري من حديث أبي المنهال قال: «سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ عَنِ الصَّرْفِ، فَقَالَا: كُنَّا تَاجِرَيْنِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الصَّرْفِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ يَدًا بِيَدٍ فَلَا بَأْسَ، وَإِنْ كَانَ نَسَاءً فَلَا يَصْلُحُ»[(٣)].

- **وهذا سعد بن أبي وقاص ﷺ:** كان زراعًا يعمل في أرضه ويحسن حرفتها ومعالجتها، وقد روى عنه أنه كان يرمل أرضه بالعُرَّة، «أي يصلحها بإضافة السماد العضوي من البقر ونحوه كي

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه ك البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ٣/٥٢، ح رقم ٢٠٤٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر ٤/٢٩٠.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه ك البيوع، باب التجارة في البر ٣/٥٥، ح رقم ٢٠٦٠.

يجود إنتاجها، ويحسن خرجها»، وكان يقول: مكتل عرة بمكتل بر[١].

• **وهذا ظهير بن رافع من بني حارثة ﷺ:** يفلح الأرض ويتعهدها فيرى رسول الله ﷺ أرضه فيسر بها ونتاجها، ويحفز ظهيرًا على ذلك: قال رافع بن خديج ﷺ: أتى النبي ﷺ بني حارثة فرأى زرعًا في أرض ظهير بن رافع، فقال: وما أحسن زرع ظهير[٢]. قال الوصابي رحمه الله: وظهير هذا هو من البدريين، وكان أكثر أهل المدينة زرعًا[٣].

• **وكان الصحابة والتابعون يعملون بالمزارعة:** وهو كراء الأرض ببعض ما يخرج منها، روى قَيْسُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: مَا بِالْمَدِينَةِ أَهْلُ بَيْتِ هِجْرَةٍ إِلَّا يَزْرَعُونَ عَلَى الثُّلُثِ وَالرُّبُعِ وَزَارَعَ عَلِيٌّ وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْقَاسِمُ وَعُرْوَةُ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ وَآلُ عُمَرَ وَآلُ عَلِيٍّ وَابْنُ سِيرِينَ وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْأَسْوَدِ كُنْتُ أُشَارِكُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ فِي الزَّرْعِ وَعَامَلَ عُمَرُ النَّاسَ عَلَى إِنْ جَاءَ عُمَرُ بِالْبَذْرِ مِنْ عِنْدِهِ فَلَهُ الشَّطْرُ وَإِنْ جَاؤُوا بِالْبَذْرِ فَلَهُمْ كَذَا وَقَالَ الْحَسَنُ لَا بَأْسَ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ لِأَحَدِهِمَا فَيُنْفِقَانِ جَمِيعًا فَمَا خَرَجَ فَهُوَ بَيْنَهُمَا وَرَأَى ذَلِكَ الزُّهْرِيُّ وَقَالَ الْحَسَنُ لَا بَأْسَ أَنْ يُجْتَنَى الْقُطْنُ عَلَى النِّصْفِ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ وَابْنُ سِيرِينَ وَعَطَاءٌ وَالْحَكَمُ وَالزُّهْرِيُّ وَقَتَادَةُ لَا بَأْسَ أَنْ يُعْطِيَ الثَّوْبَ بِالثُّلُثِ أَوِ الرُّبُعِ وَنَحْوِهِ وَقَالَ مَعْمَرٌ لَا بَأْسَ أَنْ تَكُونَ الْمَاشِيَةُ عَلَى الثُّلُثِ وَالرُّبُعِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى[٤].

• **وكان النساء يعملن ويباشرن زراعتهن، فهذه أم مبشر الأنصارية ﷺ:** تشرف على زراعة أرضها وتتعهد نخلها بالخدمة فزارها رسول الله ﷺ وحفزها على استدامة هذا الجهد المحمود،

---

(١) البركة في السعي والعمل والحركة: الوصابي صـ١٣.

(٢) أخرجه: أبو داود في سننه ك البيوع، باب في التشديد في ذلك ٣/٢٦٠، ح رقم ٣٣٩٩.

(٣) البركة في السعي والعمل والحركة: الوصابي صـ١٩.

(٤) أخرجه: البخاري معلقًا ك الحرث والمزارعة، باب المزارعة بالشطر ونحوه ٣/١٠٤.

وبشرها ببشرى تشرح الصدر وتسر النفس، ففي صحيح مسلم عن جابر؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ مُبَشِّرٍ الْأَنْصَارِيَّةِ فِي نَخْلٍ لَهَا. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟ » فَقَالَتْ بَلْ مُسْلِمٌ. فَقَالَ: «لا يغرس مسلما غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صدقة»(١).

• **وهذه صحابية أخرى كانت تعمل نساجة:** في البخاري من حديث سَهْل بْن سَعْدٍ ﷺ قَالَ: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقِيلَ لَهُ: نَعَمْ، هِيَ الشَّمْلَةُ، مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، اكْسُنِيهَا. فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ»(٢).

• **وتلك صحابية أخرى تعمل في مهنة النجارة وعندها نجار يعمل لها:** فعَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: «أَتَى رِجَالٌ إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى فُلَانَةَ امْرَأَةٍ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ: أَنْ مُرِي غُلَامَكِ النَّجَّارَ، يَعْمَلْ لِي أَعْوَادًا، أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ، فَأَمَرَتْهُ يَعْمَلُهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ»(٣).

• **<u>ومن المحفزات كذلك:</u>** أن الذي يعمل ويسعى ليكسب الحلال يتبع طريق السلف الصالح من العلماء الذين كرهوا أن يعيشوا عالة على أحد، وهم يطلبون العلم أو يعلمونه، فعملوا في مهن

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه ك المساقاة، باب فضل الغرس والزرع ١١٨٨/٣، ح رقم ١٥٥٢.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه ك البيوع، باب ذكر النساج ٦١/٣، ح رقم ٢٠٩٣.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه ك البيوع، باب النجار ٦١/٣، ح رقم ٢٠٩٤.

عديدة، كانت ألقابًا لمعظمهم، مثل: الزيات، والزجاج، والماوردي (الذي يتاجر في ماء الورد)، والقطان، والسراج، وغير ذلك، ولا شك أن التشبه بالصالحين قوة في الدين والعمل والسعي الحميد:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

• **ومن المحفزات كذلك** أن الثقافة الإسلامية تجعل العمل هو المروءة والشرف، وأن الحرفة مع العفة سبيل أصحاب الكرامة والعزة، وأنه لا قيمة للشرف مع الخمول، وحكي أن معاوية ﷺ سأل المغيرة عن المروءة فقال: هي العفة عما حرم الله تعالى والحرفة فيما أحل الله تعالى[1].

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة فقال: العفة والحرفة[2].

والداعي إلى هذين أمران: علو الهمة، وشرف النفس.

قال الإمام الماوردي: «أما علو الهمة فلأنه باعث على التقدم وداع إلى التخصيص أنفة من خمول الضعة، واستنكارًا لمهانة النقص. وأما شرف النفس: فإن به يكون قبول التأديب، واستقرار التقويم والتهذيب، لأن النفس ربما جمحت عن الأفضل وهي به عارفة، ونفرت عن التأديب وهي له مستحسنة؛ لأنها عليه غير مطبوعة، وله غير ملائمة، فتصير منه أنفر، ولضده الملائم آثر. وقد قيل: ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه. وإذا شرفت النفس كانت للآداب طالبة، وفي الفضائل راغبة، فإذا مازجها صارت طبعًا ملائمًا فنما واستقر...، فأما شرف النفس إذا تجرد عن علو الهمة

---

(١) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ٣٢١.

(٢) المرجع السابق صـ٣٢٩.

فإن الفضل به عاطل، والقدر به خامل، وهو كالقوة في الجَلِد الكَسِل، والجبان الفشل، تضيع قوته بكسله، وجلده بفشله»[١].

• **ومن المحفزات كذلك:** تمليك الأرض الموات لمن يحييها: الأرض الموات هي التي لم تهيأ للزراعة وأمثالها من المنافع، قال الحافظ في الفتح: «قال القزاز: الموات الأرض التي لم تعمر، شبهت العمارة بالحياة، وتعطيلها بفقد الحياة، وإحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض لا يعلم تقدم ملك عليها لأحد فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء فتصير بذلك ملكه سواء كانت فيما قرب من العمران أم بعد»[٢].

والملاحظ هنا أن الشرط في تملك الأرض الموات إصلاحها وزراعتها، والبناء عليها وهو عمل وجهد يؤدي إلى التنمية، أما مجرد تحجير الأرض (أي: حجزها بسور وشبهه دون زراعة) فإنه لا يعطي الحق في التملك؛ لأنه لا عمل ولا جهد ولا إضافة لإنتاج جديد للمجتمع، وقد «روى عن عمرو بن شعيب أو غيره أن عمر قال: من عطل أرضًا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهي له»[٣].

أقول، ولا شك أن هذا عمل بارع يفيد من عمله في إضافة ملكية إليه لما أصلحه وأحياه، كما يفيد المجتمع؛ حيث يضيف إلى الزراعة أرضًا جديدة فتتسع الرقعة الزراعية المنتجة.

وهذا الإعمار والإحياء له عدة صور تحتاج إلى عمل وجهد:

الأولى: زرعها ورعايتها وما يزرع فيها، حتى تجود الأرض بخيراتها التي خزنها الله فيها.

---

(١) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ٣١٨-٣٢٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر ١٨/٥.

(٣) المرجع السابق ٢٠/٥.

الثانية: حفر الآبار فيها للسقيا شربًا لإنسان أو حيوان أو طير أو ريًا لزراعة.

الثالثة: بناء المشاريع المنتجة للخير عليها مثل المصانع على اختلاف أنواعها أو إقامة المدارس ودور العلم والمستشفيات.

وهذا التحفيز داعم للسعي والعمل، وناشر لثقافة الإنتاج في المجتمع، وهو كذلك توفير لأسباب الرخاء والقضاء على الغلاء، وتقليل البطالة.

المبحث الرابع: أسباب نجاح العمل

كل عمل يعمله الإنسان يتوقف على الأخذ بالأسباب - كما ظهر في البحث -.

هذا، وأسباب نجاح العمل تنقسم إلى قسمين:

١. أسباب تعود إلى العمل نفسه.

٢. أسباب ترجع إلى العامل.

أولاً: الأسباب الراجعة إلى طبيعة العمل:

١. أن يكون عملًا صالحًا منتجًا للخير.

٢. أن يكون متفقًا مع أولويات المجتمع.

٣. أن يكون مراعيًا للمستقبل.

٤. أن يكون مستمرًا.

وهاك البيان:

١. أن يكون عملًا صالحًا منتجًا للخير:

تحدث البحث عن ذلك فيما سبق، مبينًا أن العمل في الثقافة الإسلامية هو الصالح المنتج للخير المادي والمعنوي للفرد والمجتمع.

٢. أن يكون العمل متفقًا مع أولويات المجتمع:

من أسباب نجاح العمل أن يحقق ضرورة مادية أو معنوية للمجتمع، كأن يكون تعليمًا يقدم للأمة النوابغ والموهوبين، الذين يرفعون شأنها ويقدمون لها كل اختراع مفيد في كافة المناحي أو مهنة عملية تفيده، مثل الطب والهندسة والكيمياء والأحياء، أو تخدمه، مثل: النجارة والحدادة، والنظافة والتجميل، وقيادة السيارات والطائرات، أو تهديه إلى الخير إلى الصراط المستقيم، مثل: الوعظ والخطابة، والدعوة والإعلام، أو الترفيه لها، أو تقدم له ما يأكل ويقتات بالزراعة أو ما يلبسه وما ينتفع به بالتجارة أو تصنع له ما يقيم حياته، وهكذا ينجح العمل كلما كان ملبيًا للضرورات المادية أو المعنوية للفرد والمجتمع. ومن ذلك أن النبي ﷺ نظم العمل ووجه جهد العامل ناحية

الأولى له وللدولة باستثمار الكفاءات، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، إِنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا. قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ، فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا»(١).

قال الحافظ في الفتح: «وفي حديث أبي سعيد فضل أداء زكاة الإبل، ومعادلة إخراج حق الله منها لفضل الهجرة، فإن في الحديث إشارة إلى أن استقراره بوطنه إذا أدى زكاة إبله يقوم له مقام ثواب هجرته وإقامته بالمدينة»(٢).

وكذلك راعي النبي ﷺ الأولويات لمصلحة الفرد والدولة، فوجه الطاقات نحو ذلك، فترك يهود خيبر في أرضهم يزرعونها ويدفعون خراجها، فتدوم زراعتهم ويجود انتاجهم؛ لأنهم أدرى بالأرض وصلاحها فيكسبون حياتهم، كما أن خراج الأرض سيعظم وينعش خراج الدولة، ففي الحديث: «دَفَعَ إِلَى يَهُودِ خَيْبَرَ نَخْلَ خَيْبَرَ وَأَرْضَهَا. عَلَى أَنْ يَعْتَمِلُوهَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ. وَلِرَسُولِ اللهِ ﷺ شطر ثمرها»(٣). **والاعتمال هو:** افتعال من العمل، أي أنهم يقومون بما يحتاج إليه من عمارة وزراعة، وتلقيح، وحراسة، ونحو ذلك.

٣. أن يدفع صاحبه إلى الإعداد للمستقبل:

العمل الناجح هو ما راعي فيه صاحبه التخطيط للمستقبل؛ حيث يدخر لغده ويستعده له، فالتلميذ الصغير يسعى في حياة والديه إلى الدراسة كي يتخرج فينفع نفسه، وهذه الدراسة لاشك بحث عن المستقبل، وكذلك المهني والحرفي والفلاح والتاجر، كل يعمل، والناجح هو الذي

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الزكاة، باب زكاة الإبل ١١٧/٢، ح رقم ١٤٥٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر ٣٦٦/٣.

(٣) أخرجه: مسلم في صحيحه ك المساقاة، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع ١١٨٧/٣، ح رقم ١٥٥١.

يجعل المستقبل أمام عينيه، فيدخر لغد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[١]، والآية تتحدث عن الاستعداد للقيامة وهي مستقبل لكل مؤمن، ولا مانع من اصطحاب المعنى في الاعداد لغد دنيوي.

وقد قال الصديق ﷺ في خطبة له: «... هَذَا كِتَابُ اللهِ ﷻ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ فَاسْتَوْصُوا بِهِ، مِنْهُ لِيَوْمِ ظُلْمَةٍ...، إِنَّ اللهَ ﷻ أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا، وَأَهْلِ بَيْتِهِ فَقَالَ: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ...»[٢].

ويحفظ الناس ويرددون: «احْرِزْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا»[٣].

وقد قال الواعظون لقارون: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾[٤].

قال العلامة ابن كثير رحمه الله: «أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، فآت كل ذي حق حقه»[٥].

فالعمل الذي يغذي المستقبل ويدخر له ينقذ صاحبه، بل ينقذ المجتمع، فهذا يوسف الصديق ﷺ يعلم الناس جميعًا أن العمل للمستقبل أمر هام في حياة الفرد والمجتمع: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ

---

(١) سورة الحشر الآية ١٨.

(٢) جزء من حديث، أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير ٦٠/١، ح رقم ٣٩. قال العلامة ابن كثير (تفسير القرآن العظيم ٧٨/٨): هذا إسناد جيد، ورجاله كلهم ثقات.

(٣) أخرجه: الحارث في مسنده ٩٨٣/٢، ح رقم ١٠٩٣.

(٤) سورة القصص من الآية ٧٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢٥٤/٦.

سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[1]، أي: استغلوا سني الخصب والمطر السبعة، وادخروا القوت لسني الجدب، فلما فعلوا وجاءت المجاعة والجدب أطعم الله مصر والدول المجاورة، فكان العمل هنا ناجحًا لأنه ادخر للمستقبل.

هذا، وقد علق شيخنا د/ أحمد غلوش حفظه الله على الآيات بقوله: دهش الملك من هذا التفسير، وشعر أنه أمام عقل فاهم، يفهم الواقع، وأدرك ضرورة الاستعداد للسنوات المقبلة...، أدرك الملك ما في هذا التفسير من علم وفطانة وحب للخير...[2].

هذا، ومن العمل للمستقبل تعويد الآباء أولادهم على العمل والسعي وتعليمهم المهن مع طلبهم العلم في كل تخصصاته؛ حتى ينشأ الأولاد على حب العمل وكراهية الكسل والبطالة والاستعداد للمستقبل، فإن الإنسان ينشأ على ما شب عليه، وبذلك ينشأ جيل منتج يعمل لمستقبله حتى يجد عطاء يغنيه عن الحاجة لغيره مما يحفظ كرامته.

٤. أن يكون عملًا مستمرًا:

من أسباب نجاح العمل نفسه أن يستمر عليه صاحبه مثابرًا دون يأس أو قنوط مهما قابله من مشاق. وفى قصة يوسف الصديق عليه السلام، يقول تعالى: ﴿**تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا**﴾[3]. **والدأب هو:**

---

(١) سورة يوسف الآية ٤٨، ٤٩.

(٢) ركائز القدوة في تفسير الدعوة: د/أحمد غلوش ١٧/٨ بتصرف يسير.

(٣) سورة يوسف من الآية ٤٨.

الاستمرار في العمل والجد فيه، يقال: «دأَبَ في عَمَلِهِ، كَمَنَعَ، دَأْبًا، ويُحَرَّكُ، ودُؤوبًا، بالضم: جَدَّ وتَعِبَ»(١).

يقول نبي الله يوسف عليه السلام: استمروا في عملكم الزراعي على عادتكم واجتهدوا، ومعنى ذلك أن يواظبوا على العمل ولا يقطعوه، وهذا العمل المستمر جاء بالغوث لمصر ومن حولها من البلاد.

قال العلامة الرازي رحمه الله: «الدأب استمرار الشيء على حالة واحدة...، أي زراعة متوالية في هذه السنين...، وتقديره: تزرعون دائبين..، وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ أي: تدخرون»(٢).

ولا شك أن أهل مصر لما عملوا عملًا مستمرًا بناء على نصيحة يوسف عليه السلام أخذوا بالأسباب الظاهرة التي جعلها الله سنته في خلقه فنجوا من المجاعة، ولو قطعوا عملهم أو يئسوا من نتيجته فانصرفوا عنه لهلكوا وهلك من حولهم من البلاد؛ ولذلك، على كل من يبغي النجاح أن يستمر في عمله، فإن رأى ضعف المردود المالي في أوله ما جاز له أن يقطع ويترك نشاطه وإلا سيظل في الفقر وقد يسير في طابور العاطلين(٣).

ثانيًا: الأسباب التي ترجع إلى العامل:

١. تدبر العمل الذي سيعمل فيه:

على العامل أن يأخذ بهذا السبب لينجح عمله، بأن يتدبر النشاط الذي سيختاره وينفذه، فيقلب النظر فيه جيدًا حتى يرى عدة نواح فيه:

أ. هل يتفق مع مواهبه أم يعاكسها؟ فإن وجد اتفاقًا فذلك هو المطلوب الأول.

ب. أن ينظر هل هو في طاقته بحيث يستطيع المضي فيه؟ وهو المطلوب الثاني.

---

(١) القاموس المحيط: الفيروزآبادى صـ٨٢، وينظر: المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية صـ٢١٩.

(٢) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي ٣٦٥/١٨.

(٣) للمزيد ارجع إلى: مناهج الحياة «السعي، العمل، الاقتصاد، بهذه الثلاثة تنال الثروة»: أ/ نقولا حداد صـ٧٨.

ج. أن يستوثق من القدرة على إنجازه والحصول على نتائج. وهو المطلوب الثالث.

وفى ذلك يقول الإمام الماوردي ﷺ: «فأما ما يرومه من أعماله، ويؤثر الإقدام عليه من مطالبه، فيجب أن يقدم الفكر فيه قبل دخوله فإن كان الرجاء فيه أغلب من الإياس منه وحمدت العافية فيه سلكه من أسهل مطالبه وألطف جهاته. وبقدر شرفه يكون الإقدام، وإن كان الإياس أغلب عليه من الرجاء مع شدة التغرير ودناءة الأمر المطلوب فليحذر أن يكون له متعرضًا...، وقالت الحكماء: طلب ما لا يدرك عجز. وقال بعض الشعراء:

فإياك والأمر الذي إن توسعت ... موارده ضاقت عليك المصادر

فما حسن أن يعذر المرء نفسه ... وليس له من سائر

ولا شك أنه إن فعل فقد قدم لعمله أحد أسباب النجاح والتميز.

٢. الحزم بالنظر في العمل:

إذا قلب العامل النظر في العمل وتحقق من مواصفاته السابقة، فينبغي عليه أن يأخذ بالحزم الذي هو: «ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة»[٢]. وهو «جودة النظر في الأمر وتنقيحه والحذر من الخطأ فيه. والعزم قصد الإمضاء (وهذا الحزم يسبق العزم) »[٣]. وإذا كان الأمر كذلك فعليه أن ينعم النظر في العمل ويدقق فيه ويضبطه بدءًا ونهاية؛ كي يثق فيه، ومن الحزم أن يقلب النظر في أجزاء العمل ويرتب أجزاءه، بحيث يرى أن كل جزء يسلم إلى صاحبه ليسهل عليه الأمر، وتنهض همته للبدء، ومن الحزم ألا ينظر في أول الأمر إلى العمل كله مرة واحدة؛ لأنه حينئذ قد يستصعب العمل ويتردد في الإقبال عليه حتى يصرف النظر عنه.

---

(١) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ٣٥٧.

(٢) مختار الصحاح: الرازي صـ٧٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٤/٢٥٢.

• فلو وقف عامل البناء أمام كمية ضخمة من لوازم البناء لهاله المرء، كيف يستطيع حمل وتحريك هذه الكمية؟ وهنا تخور همته وتضعف عزيمته، لكن لو جزء هذه الكمية وقال: نبدأ بنقل الرمال أولًا، ثم الحديد، لهان عليه الأمر، وانطلق إلى العمل.

• وكذلك الباحث الذي يكتب رسالة علمية لو نظر إليها بجملتها مرة واحدة لأصابه الوجوم من الأمر ولظن أن الموضوع خارج عن طوقه فإذا به يتركه! ! لكنه لو نظر إليه كأجزاء تؤخذ واحدة بعد واحدة، وكل تسلم إلى أختها لهان عليه الأمر ولبدأ في العمل.

٣. العزم والتنفيذ:

العزم هو: إمضاء ما حزم فيه، ويقال: عزم على كذا: أراد فعله وقطع عليه(١).

قال في المفردات: «العَزْمُ والعَزِيمَةُ: عقد القلب على إمضاء الأمر، يقال: عَزَمْتُ الأمرَ، وعَزَمْتُ عليه»(٢).

قال الإمام القرطبي ﷺ: «والعزم هو الأمر المروى (أي الذي أخذ بروية وتمهل وفكر)، المنقح، وليس ركوب الرأي دون روية عزمًا...، والعرب تقول: قد أحزم لو أعزم»(٣).

يظهر مما سبق، أن العمل الذي تدبره صاحبه واقتنع به ثم حزم أمره بالنظر الجيد فيه يدخل إلى مرحلة الإمضاء والتنفيذ، فعليه أن يبدأ دون تردد بل بتصميم على الاجتهاد والصبر والتحمل لأي متاعب تقابل العمل؛ لأن التنفيذ يحتاج إلى العزم القوي المتضمن لعقد النية وتحديد العمل

---

(١) مختار الصحاح: الرازي صـ٢٠٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهانى صـ٥٦٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٤/٢٥٢، وانظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: الشوكاني ١/٣٩٤.

والإقدام[١].

أقول: وهذا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢].

قال في المحرر الوجيز: «والتوكل على الله تعالى من فروض الإيمان وفصوله، ولكنه مقترن بالجد في الطاعة والتشمير والحزامة بغاية الجهد: وليس الإلقاء باليد وما أشبهه بتوكل، وإنما هو كما قال عليه السلام: قيدها وتوكل»[٣].

ويوضح العلامة الرازي رحمه الله لم قرن العزم بالتوكل على الله؛ لأن «التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على عصمة الحق»[٤].

٤. الثبات على العمل والاستمرار فيه:

الثبات هو الاستمرار في العمل بلا انقطاع إلى البطالة والقعود؛ لأن هذه ثقافة العمل الناجح، أما ثقافة من لا ثبات عنده فإنه لا يؤمن بعمله ولا يقتنع بسعيه، وهو سريع التقلب، فيترك عمله تحت دعوى أن ثمرته بطيئة أو غير مكافئة لجهده أو كافية لحاجاته وتطلعاته.

وفى مثله يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾[٥]، فهؤلاء يتخلفون عن الجهاد والعمل مع القدرة عليه، ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود مع الخوالف[٦].

---

(١) ركائز القدوة في تفسير الدعوة: د/أحمد غلوش ٥٧٧/٣.

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٥٩.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية ٥٣٤/١.

(٤) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي ٤١٠/٩.

(٥) سورة التوبة الآيتان ٨٥، ٨٦.

(٦) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: أحمد شاكر ١٨٩/٢.

والقاعد عن العمل بعد أن بدأه ناقض لعزمه فهو كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[١]، فهذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده[٢].

والنكث نقض الأمر بعد إبرامه، والأنكاث هي الأنقاض، والآية تسوق مثلًا تشبيهيًا لعمل من الأعمال ينقض بعد البدء فيه وإمضائه، وهذا العمل هو الغزل، وهو لامرأة تغزل غزلها وتفتله محكمًا ثم تحله، يقول العلامة القرطبي ﷺ: «ويروى أن امرأة حمقاء كانت بمكة تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة كانت تفعل ذلك، فبها وقع التشبيه، قاله الفراء، وحكاه عبد الله بن كثير والسدي ولم يسميا المرأة»[٣].

ولعل الذي يفعل ذلك يرى عمله قليل الفائدة في أول الأمر، وأن الناتج لا يكافئ الجهد المبذول فيه، فيقعد عنه، والذي ينقذ من ذلك هو الثبات على العمل، «فالأعمال كالمغروسات التي لابد منها في أول الأمر من بذل العناية الكلية والاجتهاد في سياستها وتعهدها.. إلخ، حتى متى تمت أجنيت أثمار كثيرة من غير جهد، هكذا الأعمال لابد من العناية والاجتهاد العظيمين في أول أمرها، حتى متى تعودها ذووها وعرفوا أبواب الفائدة منها وطرق رواجها؛ ربحوا منها ربحًا جزيلًا، ولم تعد تكلفهم عناية عظيمة؛ فالتاجر مثلًا يصرف مالًا كثيرًا، ويسعى طويلًا في السنة الأولى من غير جدوى، وقد يخسر بعَض الخسارِة، ولكن متى اشتهر محله، وكثر زبائنه راجت تجارته، وأخذ ربحه يتزايد

---

(١) سورة النحل الآية ٩٢.

(٢) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: أحمد شاكر ٣٩٧/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ١٠/ ١٧١.

تدريجًا، وتعبه يقل»[١].

٥. إتقان العمل:

العمل المتقن هو الذي أحكمه صاحبه، وفى القرآن الكريم: ﴿**صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾[٢]، والتَّقْنُ والتِّقِنُ من الرجال المتقن الحاذق[٣].

وهذا الاتقان سبب عظيم لنجاح العمل، ويتكون لدى العامل بمزاولة العمل والتدقيق فيه، ومع تعوده على ذلك يعظم ويصبح علامة له، وفى ذلك يقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»[٤]، أي يجوده ويحسنه حتى يخرج في أبهى صورة، جميلًا في شكله، أصيلًا في مضمونه، وحينئذ يكون رواجه ووقعه على النفوس أحسن، والرائع في الثقافة الإسلامية أن يعرف العلماء العمل الصالح بأنه هو العمل المراعى من الخلل[٥]، أي المتقن الخالي من العيوب، والناس تميل إلى كل عمل على هذه الصفة، وتنصرف عمن ليس عليها، فالطبيب المتقن يتقاطر الناس عليه، والمهندس المجيد كذلك... والداعية والخطيب المتقن يجذب القلوب ويؤثر فيها، والمهني المتقن تنجح مهنته ويعظم رزقه، وأقول له:

وأتقنن عملًا تصب به خيرًا إن الذكي من الرجال من تقنا

ومن الحث على الاتقان أن تربي الثقافة الإسلامية المسلم على أن ربه مطلع على عمله

---

(١) مناهج الحياة: نقولا حداد، صـ٧٨.

(٢) سورة النمل من الآية ٨٨.

(٣) المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية صـ٧٦.

(٤) سبق تخريجه صـ١٠.

(٥) ارجع إلى: التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي القاهري صـ٢٤٧، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: الكفوي صـ٦١٦.

يشاهده ويراه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١).

وفى الآية «يخبر تعالى نبيه، صلوات الله عليه وسلامه أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته، وجميع الخلائق في كل ساعة وآن ولحظة، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين، كقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات وكذلك الدواب السارحة في قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦] . وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء، فكيف بعلمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧ -٢١٩]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون، ولهذا قال،

---

(١) سورة يونس من الآية ٦١.

عليه السلام لما سأله جبريل عن الإحسان، قال: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١)،(٢).

وقد نقلنا سابقًا كلام الإمام الرازي: «إن العامل عند الأمير إذا رأى الأمير ينظر إليه وهو يعمل فإنه سيتقنه أي اتقان، حتى يرضى عنه»(٣). ولله المثل الأعلى فهو مطلع على عمل كل عامل.

وعند الإمام مسلم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»(٤).

فقوله «إن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون»: أي جاعلكم خلفاء من القرون قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم(٥).

ومن ثم لا يجوز أن يترك هذا الإتقان تحت دعوى أن تكاليفه عالية والناس لا تطلبه، وعليه أن يتعامل مع العقلاء الذين يقدرون العمل الجيد المتقن.

وإذا وجد العامل أن الأمر صعب في أوله فليس له أن يترك الإتقان بل عليه الصبر؛ لأن المزاولة للعمل تربي هذا الإحسان، وأقتبس له من شعر ابن برد: وأقول:

---

(١) جزء من حديث، أخرجه: البخاري في صحيحه ك الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له ١٩/١، ح رقم ٥٠، ومسلم في صحيحه ك الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ٣٦/١، ح رقم ٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢٧٧/٤.

(٣) انظر صـ٢٧ من البحث.

(٤) أخرجه: مسلم في صحيحه ك الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء. وبيان الفتنة بالنساء ٢٠٩٨/٤، ح رقم ٢٧٤٢.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي ٥٥/١٧.

عسر الاعمال إلى مزاولة والصعب يسهل بعد ما جمحا

٦. اغتنام الأوقات:

الوقت هو حياة العمل والعامل معًا، وإذا كان الناس يقولون: إن الوقت من ذهب، فإننا نقول بل هو أغلى من الذهب؛ لأنه العمر، والعمر لا يقوم بمال...، وإذا ضيع العامل شيئًا من وقته، فقد ضيع من عمره دون فائدة، وحرم نفسه ثمرة عمل كان يتم في هذا الوقت، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»(١)، فالصحة هي تاج الإنسان وقوامه، والفراغ أي الوقت هو عمره، والغبن هو النقص، فكثير من الناس يخسرون فوائد الصحة والفراغ حين يفرطون في الأمرين فيندمون بعد ذلك على التفريط في هذين الكنزين الثمينين.

وإذا كان الاقتصاديون يقولون إن ثمرة العمل ونتيجته تساوى القوة المبذولة فيه مضروبة في الوقت، فمعنى ذلك أن من اغتنم الوقت وعمل فيه بهمة ونشاط أنتج هذا العمل خيرًا عميمًا للعالم.

- ومن اغتنام الوقت إنجاز عمله دون تأجيل فبذلك يتم تنظيم العمل وحسن توزيعه على الوقت وترتيب أجزائه موزعة على الوقت فيتم الإنجاز، والحذر المطلوب هنا هو تأجيل عمل وقت ما إلى غيره، فإنه يكدس الأعمال المؤجلة على الأعمال الجديدة المطلوبة، ويعجز العامل مع وقته في إنجازها كلها، مما ينتج عنه ضعف الإنتاج وعدم جودته نظرًا لاضطرار العامل إلى الإسراع في إخراج وإنهاء العمل.
- ومن اغتنام الوقت ادخار بعضه لتنشيط النفس وإدخال السرور عليها والراحة ببعض الأنشطة الترفيهية الحلال التي تفرح الفؤاد وتجدد في النفس الحياة، وفى هذا يقول النبي ﷺ: «...

---

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة ٨٨/٨، ح رقم ٦٤١٢.

وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً»[١]، وقال على بن أبي طالب ﷺ: «رَوِّحوا القُلوبَ، واطلُبوا لها طُرَفَ الحِكمةِ؛ فإنَّها تمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ»[٢].

- فالهدوء والسكينة بعض الوقت بعد حركة شديدة، وعمل مجهد يعطي الجسم والعقل فرصة الراحة وتنشيطها لعمل جديد.
- ولقاء بعض الأصدقاء وزملاء العمل يؤدي إلى الإيناس والسرور.
- والتنزه في المتنزهات الآمنة وسماع وحضور اللهو المباح كذلك.

وفى هذا المعنى ساق الإمام الماوردي عدة نصائح قال فيها: «واعلم أن للنفس حالتين: حالة استراحة إن حرمتها إياها كلت، وحالة تصرف إن أرحتها فيها تخلت، فالأولى بالإنسان تقدير حاليه: حال نومه ودعته، وحال تصرفه ويقظته، فإن لهما قدرًا محدودًا وزمانًا مخصوصا يضر بالنفس مجاوزة أحدهما، وتغير زمانهما...، فإذا أعطى النفس حقها من النوم والدعة، واستوفى حقه بالتصرف واليقظة، خلص بالاستراحة من عجزها وكلالها، وسلم بالرياضة من بلادتها وفسادها. وحكي أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه فوجده نائما فقال: يا أبت أتنام والناس بالباب؟ فقال: يا بني نفسي مطيتي وأكره أن أتعبها فلا تقوم بي. وينبغي أن يقسم حالة تصرفه ويقظته على المهم من حاجاته فإن حاجة الإنسان لازمة والزمان يقصر عن استيعاب المهم، فكيف به إن تجاوز إلى ما ليس بمهم هل يكون إلا:

كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

---

(١) جزء من حديث، أخرجه: مسلم في صحيحه ك التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا ٤/٢١٠٦، ح رقم ٢٧٥٠.

(٢) أخرجه: الخرائطي في مكارم الأخلاق صـ٢٣٦، ح رقم ٧١٩.

ثم عليه أن يتصفح في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن الليل أخطر للخاطر وأجمع للفكر. فإن كان محمودا أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموما استدركه إن أمكن وانتهى عن مثله في المستقبل. فإنه إذا فعل ذلك وجد أفعاله لا تنفك من أربعة أحوال: إما أن يكون قد أصاب فيها الغرض المقصود بها، أو يكون قد أخطأ فيها فوضعها في غير موضعها، أو يكون قصر فيها فنقصت عن حدودها، أو يكون قد زاد فيها حتى تجاوزت محدودها. وهذا التصفح إنما هو استظهار بعد تقديم الفكر قبل الفعل ليعلم به مواقع الإصابة وينتهز به استدراك الخطأ. وقد قيل: من كثر اعتباره قل عثاره»[(١)].

٧. القدوة بالغير من أصحاب النشاط العملي المماثل لنشاطه:

إن القدوة بهؤلاء تؤدي إلى الانتفاع بمسالكهم وخبراتهم حتى يقتفي أثرهم فيما أجادوا، وينجو مما فيه ووقعوا من الأسباب التي أدت إلى الخسارة في نتاجهم، وفى ذلك يعنون الإمام الماوردي «الزيادة في العمل اقتداءً بالغير»، ويقول: «... أن يفعل الزيادة اقتداء بغيره. وهذا قد تثمره مجالسة الأخيار الأفاضل، وتحدثه مكاثرة الأتقياء الأماثل. ولذلك قال النبي ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ»[(٢)]. فإذا كاثرهم المجالس، وطاولهم المؤانس، أحب أن يقتدي بهم في أفعالهم، ويتأسى بهم في أعمالهم، ولا يرضى لنفسه أن يقصر عنهم، ولا أن يكون في الخير دونهم، فتبعثه المنافسة على مساواتهم، وربما دعته الحمية إلى الزيادة عليهم والمكاثرة لهم فيصيروا سببًا لسعادته، وباعثًا على استزادته. والعرب تقول: لولا الوئام لهلك الأنام. أي لولا أن الناس يرى بعضهم بعضا فيقتدي بهم في الخير لهلكوا. ولذلك قال بعض البلغاء: من خير الاختيار صحبة الأخيار، ومن شر الاختيار مودة الأشرار. وهذا صحيح؛ لأن للمصاحبة تأثيرًا في اكتساب الأخلاق،

---

(١) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده ١٤/١٤٢، ح رقم ٨٤١٧.

فتصلح أخلاق المرء بمصاحبة أهل الصلاح وتفسد بمصاحبة أهل الفساد. ولذلك قال الشاعر:

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ... ويعديهم عند الفساد إذا فسد
يعظم في الدنيا بفضل صلاحه ... ويحفظ بعد الموت في الأهل

وأنشدني بعض أهل الأدب لأبي بكر الخوارزمي:

لا تصحب الكسلان في حالاته ... كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد

(١) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ١٠٦، ١٠٧.

المبحث الخامس: أنواع المكاسب

للإنسان ضرورات مادية لا يعيش بدونها، ولا يحس بآدميته إن فقدها، وهي:

١. نعمة تسد الجوع مع شربة ماء ترد الظمأ.

٢. ثوب يستر بدنه ويقيه شر العري.

٣. مسكن يقيه شر الحر والبرد وشر التشرد.

وقد قال الله تعالى لآدم عليه السلام حين أدخله الجنة مع زوجه جواء عليها السلام: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩﴾[١]. أي «إِنَّ لَكَ يا آدم نعمة تامة وعطية مستمرة ألا يصيبك جوع ولا عري ولا ظمأ، ولا بروز للشمس يؤذيك، وهو الضحىّ»[٢].

وهي حاجة لازمة لكل البشر لا يعرى فيها أحد حتى الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾[٣]، بل قد كانوا أجسادًا يأكلون الطعام، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[٤]، فكانوا بشرًا من البشر، يأكلون ويشربون مثل الناس، ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بضار لهم ولا ناقص منهم شيئًا[٥].

فإن عدم الإنسان هذه الضروريات المادية التي هي قوام نفسه لم تدم له حياة، ولا استقام له دين، وإذا تعذر عليه شيء منها لحق الاختلال في أموره بقدر ما تعذر عليه منها، لذلك هدى الله

---

(١) سورة طه الآيتان ١١٨، ١١٩.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية ٦٧/٤.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٨.

(٤) سورة الفرقان الآية ٢٠.

(٥) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: أحمد شاكر ٥٥٠/٢.

الإنسان إلى السبيل الأمثل للحصول على ضروراته، فقال تعالى: ﴿**ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾[١]، قال سعيد بن جبير: «أَعْطَى كُلَّ ذِي خَلْق مَا يُصْلِحُهُ مِنْ خَلْقه...، وقال بعض المفسرين: أَيْ: قَدَّرَ قَدَرًا، وَهَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ»[٢].

وقد أخبر الله تعالى أن البشر يعلمون ظاهرًا من أمور الدنيا: ﴿**يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ**﴾[٣]، أي أكثر الناس ليس لهم علم إلا الدنيا ومكاسبها وشئونها وما فيها فهم حذاق في تحصيلها ووجوه مكاسبها، قال ابن عباس: يعرفون عمران الدنيا[٤]، ومعنى ذلك أنهم يعرفون معايشهم متى يزرعون ومتى يغرسون، وكيف يتاجرون ويصنعون.

ثم قدر في الأرض أقواتها: ﴿**وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ**﴾[٥]، قال عكرمة: قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد ثم جعل لهم دينًا حاكمًا حتى يمنع الفوضى والعدوان الذي يفسد المكاسب، ﴿**وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ**﴾[٦].

قال الإمام الماوردي ﷺ: ثم جعل الله سبحانه سد هذه الحاجات والتوصل إليها بأمرين: مادة، وكسب[٧].

---

(١) سورة طه من الآية ٥٠.

(٢) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: أحمد شاكر ٥٢٩/٢.

(٣) سورة الروم الآية ٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٣٠٥/٦.

(٥) سورة فصلت من الآية ١٠.

(٦) سورة المؤمنون الآية ٧١.

(٧) ارجع إلى أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ٢٠٩.

فأما المادة فهي الأصول النامية التي يقتنيها الإنسان من نبات ينمو وحيوان يتناسل، وخامات معدنية وغيرها، مما يستخرج من الأرض ويصنع، وهي من نعم الله على الإنسان، ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾[١]، «أي ملك عبادة المال (من الأصناف السابقة) وجعله لهم قنية مقيمًا عندهم، لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم»[٢].

قال الإمام الماوردي: «قال أبو صالح: أغنى خلقه بالمال، وأقنى جعل لهم قنية وهي أصول الأموال»[٣]. **ثم يقول:** «وأما المكسب فيكون بالأفعال الموصلة إلى المادة والتصرف المؤدي إلى الحاجة...، وجهات المكاسب المعروفة، من أربعة أوجه: نماء زراعة، ونتاج حيوان، وربح تجارة، وكسب صناعة»[٤]. **ثم عنون:** «أسباب المعايش» فتحدث أولًا عن الزراعة وقال عنها: «فهي مادة أهل الحضر وسكان الأمصار والمدن، والاستمداد بها أعم نفعًا، وأوفى فرعا. ولذلك ضرب الله تعالى به المثل فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]»[٥].

ومن فضل الزراعة قول الرسول الله ﷺ: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض»[٦]. يعني الزرع.

والثاني من أسباب المكاسب: نتاج الحيوان: فهو مادة أهل الفلوات وسكان الخيام؛ لأنهم لما لم تستقر بهم دار، ولم تضمهم أمصار افتقروا إلى الأموال المنتقلة معهم، وما لا ينقطع نماؤه

---

(١) سورة النجم الآية ٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٤٦٧/٧.

(٣) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ٢١٠.

(٤) المرجع السابق صـ٢١٠.

(٥) المرجع السابق صـ٢١١.

(٦) أخرجه: أبو يعلى في مسنده ٣٤٧/٧، ح رقم ٤٣٨٤.

بالظعن والرحلة، فاقتنوا الحيوان. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة»[١]،[٢].

والثالث من أسباب الكسب: التجارة: فهي فرع لمادتي الزرع والنتاج. فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «تسعة أعشار الرزق في التجارة والحرث والباقي في السائبات»[٣]،[٤].

ثم تكلم عن نوعين من التجارة:

الأول: ما ثبت في الأمصار ولم ينقل ويسافر به واحتكره التاجر وقد رغب عنه ذوو الأقدار.

والثاني: تقلب بالمال بالأسفار ونقله إلى الأمصار، فهذا أليق بأهل المروءة وأعم جدوى ومنفعة، غير أنه أكثر خطرا، وأعظم غررًا.

والرابع من أسباب الكسب: الصناعة: وهنا سلك الإمام الماوردي مسلكًا رائعًا في تقسيم الصناعة إلى ثلاثة أقسام: صناعة فكر، وصناعة عمل، وصناعة مشتركة بين فكر وعمل[٥].

ثم قال: «وأشرف الصناعات صناعة الفكر وهي مدبرة، وأرذلها صناعة العمل؛ لأن العمل نتيجة الفكر وتدبيره»[٦].

وتحدث عن صناعة الفكر وقسمها قسمين:

أحدهما: ما وقف على التدبيرات الصادرة عن نتائج الآراء الصحيحة كسياسة الناس وتدبير

---

(١) أخرجه: البيهقي في القضاء والقدر صـ٢٤٧.

(٢) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ٢١٢.

(٣) أخرجه: ابن أبي الدنيا في إصلاح المال صـ٧٣، ح رقم ٢١٣.

(٤) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ٢١٣.

(٥) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ٢١٣.

(٦) المرجع السابق صـ٢١٣.

البلاد.

والثاني: ما أدت إلى المعلومات الحادثة عن الأفكار النظرية[١].

وأما صناعة العمل فقد تنقسم قسمين: عمل صناعي، وعمل بهيمي.

فالعمل الصناعي أعلاها رتبة؛ لأنه يحتاج إلى معاطاة في تعلمه، ومعاناة في تصوره، فصار بهذه النسبة من المعلومات الفكرية.

والآخر إنما هو صناعة كد وآلة مهنة. وهي الصناعة التي تقتصر عليها النفوس الرذلة (أي التي لا تحسن صناعة الفكر) .

وأما الصناعة المشتركة بين الفكر والعمل فقد تنقسم قسمين:

أحدهما: أن تكون صناعة الفكر أغلب والعمل تبعًا كالكتابة.

والثاني: أن تكون صناعة العمل أغلب والفكر تبعًا كالبناء.

أعلاهما رتبة ما كانت صناعة الفكر أغلب عليها والعمل تبعًا لها[٢].

ثم قال: «فهذه أحوال الخلق التي ركبهم الله ﷻ عليها في ارتياد موادهم، ووكلهم إلى نظرهم في طلب مكاسبهم، وفرق بين هممهم في التماسهم؛ ليكون ذلك سببًا لألفتهم»[٣].

وأما العلامة ابن خلدون فقد بوب في مقدمته: «في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع»، وجعل تحته فصل: «في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه»، عرف فيه الكسب بأنه عبارة عن: «ابتغاء الرّزق والسّعي في تحصيله وهو مغفل من العيش. كأنّه لمّا كان العيش الّذي هو الحياة لا

---

(١) المرجع السابق صـ٢١٣.

(٢) المرجع السابق صـ٢١٤.

(٣) المرجع السابق صـ٢١٤.

يحصل إلّا بهذه جعلت موضعا له على طريق المبالغة ثمّ إنّ تحصيل الرّزق وكسبه: إمّا أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمّى مغرما وجباية وإمّا أن يكون من الحيوان الوحشيّ بافتراسه وأخذه برميه من البرّ أو البحر ويسمّى اصطيادا وإمّا أن يكون من الحيوان الدّاجن باستخراج فضوله المنصرفة بين النّاس في منافعهم كاللّبن من الأنعام والحرير من دوده والعسل من نحلة أو يكون من النّبات في الزّرع والشّجر بالقيام عليه وإعداده لاستخراج ثمرته ويسمّى هذا كلّه فلحا وإمّا أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانيّة إمّا في موادّ معيّنة وتسمّى الصّنائع من كتابة وتجارة وخياطة وحياكة وفروسيّة وأمثال ذلك أو في موادّ غير معيّنة وهي جميع الامتهانات والتّصرّفات وإمّا أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها للأعواض إمّا بالتّغلّب بها في البلاد واحتكارها وارتقاب حوالة الأسواق فيها. ويسمّى هذا تجارة. فهذه وجوه المعاش وأصنافه وهي معنى ما ذكره المحقّقون من أهل الأدب والحكمة كالحريريّ وغيره فإنّهم قالوا: «المعاش إمارة وتجارة وفلاحة وصناعة». فأمّا الإمارة فليست بمذهب طبيعيّ للمعاش فلا حاجة بنا إلى ذكرها وقد تقدّم شيء من أحوال الجبايات السّلطانيّة وأهلها في الفصل الثّاني. وأمّا الفلاحة والصّناعة والتّجارة فهي وجوه طبيعيّة للمعاش أمّا الفلاحة فهي متقدّمة عليها كلّها بالذّات إذ هي بسيطة وطبيعيّة فطريّة لا تحتاج إلى نظر ولا علم ولهذا تنسب في الخليقة إلى آدم أبي البشر وأنّه معلّمها والقائم عليها إشارة إلى أنّها أقدم وجوه المعاش وأنسبها إلى الطّبيعة. وأمّا الصّنائع فهي ثانيتها ومتأخّرة عنها لأنّها مركّبة وعلميّة تصرف فيها الأفكار والأنظار ولهذا لا يوجد غالبا إلّا في أهل الحضر الّذي هو متأخّر عن البدو وثان عنه. ومن هذا المعنى نسبت إلى إدريس الأب الثّاني للخليقة فإنّه مستنبطها لمن بعده من البشر بالوحي من الله تعالى. وأمّا التّجارة وإن كانت طبيعة في الكسب فالأكثر من طرقها ومذاهبها إنّما هي تحيّلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشّراء والبيع

لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضلة. ولذلك أباح الشّرع فيه المكاسبة لما أنّه من باب المقامرة إلّا أنّه ليس أخذ المال الغير مجّانا فلهذا اختصّ بالمشروعيّة»[١].

وأما العلامة الوصابي فقد جعل أصول المكاسب ثلاثة: الزراعة والصناعة، والتجارة، واتفق مع الإمام الماوردي في بدء الحديث عن الزراعة، وأنها أفضل المكاسب؛ لأنها أطيب وفيها التوكل والله يحب المتوكلين[٢].

ثم ضم الصناعة إلى الزراعة في ترجيح فضلها بين ألوان الكسب استدلالًا بالحديث الصحيح عَنِ الْمِقْدَامِ ﵁، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ ﵇ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[٣].

فقال: «فهذا صريح في ترجيح الزراعة والصناعة، لكونهما من عمل اليد، لكن الزراعة أفضلهما لعموم النفع بها للآدمي وغيره، وعموم الحاجة إليها...، ولولا الطعام ما عاشت الأجسام...».

ويقول: وقد عد العلماء الزراعة من فروض الكفايات؛ لأنه لا يقوم أمر الدين والدنيا والمعايش كلها إلا بها، وما سبيله سبيلها كالنخل والعنب وغيرهما فإن تركها كل الناس أثموا كلهم، وإن فعلها من تحصل بفعله سقط الحرج أي الإثم عن الباقين»[٤].

ثم سرد فضائل الزراعة وقال: اعلم أن دلائل فضل الزراعة أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن

---

(١) العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ٤٧٩/١، تحقيق: أ/خليل شحادة، مراجعة: د/سهيل زكار، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٢) البركة في السعي والحركة: الوصابي صـ٨.

(٣) سبق تخرجه صـ٧.

(٤) البركة في السعي في الحركة: الوصابي صـ٨، ٩.

تذكر، وارتفاعها على سائر الحرف لا ينكر...، فمن فضائل الزراعة أن الله سبحانه وله الحمد عدد نعمه على العباد مما أنعم به عليهم من الإيمان وغيره، فعدد وكرر في كثير من الآيات ما أنعم به من أخرج الزرع والنبات، ووصف به نفسه، بأنه هو الذي أخرجه للحاجات، فقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[2]، المعروشات: هو ما انبسط على الأرض وانتشر.

وأما الأحاديث فكثيرة منها: عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[3]،[4].

ومن فضل الزراعة أن البلاد الزراعية يكون أهلها موسرين؛ لأنهم قلما يحتاجون إلى الواردات الأجنبية[5].

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٩.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤١.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه ك المزارعة والحراثة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه ١٠٣/٣، ح رقم ٢٣٢٠، ومسلم في صحيحه ك المساقاة، باب فضل الغرس والزرع ١١٨٨/٣، ح رقم ١٥٥٢.

(٤) البركة في السعي والحركة: الوصابي صـ٩-١١.

(٥) للمزيد ارجع إلى: مناهج الحياة: نقولا حداد صـ٨٥، ٨٦.

المبحث السادس: ثمرات العمل الاقتصادي الصالح

يثمر العمل بمواصفاته السابقة عدة ثمرات نافعة في حياة الفرد والمجتمع:

الثمرة الأولى: تحقيق الاستخلاف في الأرض على خير صورة من عبادة الله وعمارة الأرض:

المعلوم أن الله سبحانه استخلف البشر في الأرض واستعمرهم فيها، وقال لهم: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾[1].

فذكرهم الله تعالى بنعمة الاستخلاف في الأرض وأنه جعلهم عمارها والمنتفعين بخيراتها، وأن عليهم الاستقامة على المنهج الصالح بالاستغفار والتوبة؛ لينجحوا في مهمتهم وهو معهم قريب مجيب.

وقال لهم وهو يخاطب بني إسرائيل: ﴿**وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾[2].

فهو مراقب لهم مسجل لأعمالهم ليرى موقفهم من الاستخلاف شكرًا أم كفرًا.

والنجاح في هذا الاختبار يمنح البشرية ثمرة يانعة نافعة، بمزيد من العطاء وسعة الرزق: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ**﴾[3].

والآية تقول للبشر: أعلمكم ربكم بوعده لكم أو أقسم بعزته لئن شكرتم النعم ليزيدنكم من الخيرات ويفتح عليكم البركات، ولئن كفرتم وجحدتم لسلبناها منكم عقابًا لكم.

وقد جاء في الحديث: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ

---

(١) سورة هود من الآية ٦١.

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٢٩.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٧.

فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ»[١].

والوعد منه جل وعلا صادق في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٢].

إن الإيمان بالله وتقواه قمة العمل الصالح، وهما يؤهلان لفيض من بركات السماء والأرض.. الإيمان بالله قوة دافعة تعمل لتحقيق مشيئته تعالى في خلافة الأرض وعمارتها، وفى دفع الفساد والفتنة عنها، وفى ترقية الحياة ونمائها، وهي كذلك من مؤهلات النجاح في الحياة الواقعية، والتقوى ترعى الجهد البشري من الاندفاع إلى فساد أو إفساد حتى يبقى النشاط البشري والعمل في حدود النشاط الصالح للمستخلفين.

الثمرة الثانية: أن العمل النشيط المنتج يدير عجلة الإنتاج النافعة ويربط المجتمع كله برباط المصلحة للفرد والمجتمع:

فهذا العامل الذي يفلح الأرض لتخرج الثمر وتنبت الزرع، يقدم للمجتمع خيرًا عظيمًا، وهذا العامل الذي يبني العمارات والبيوت ينشئ بيديه القويتين مأوى لأخيه الإنسان، وهذا النساج الذي ينسج الثوب، والغزال الذي يغزل على آلة الغزل، إنما يقدم للمجتمع كساءه، وهذا الفلاح.. وهذا الطبيب، وذاك المهندس، والداعية... إلخ المهن والتخصصات، بالعمل يقدمون الخير لأنفسهم وللمجتمع، وبذلك يموج المجتمع بموجات العمل النافع في جماعية منتجة.

الثمرة الثالثة: العمل هو البناء الهرمي لتكوين المجتمع الراقي:

كل المهن محترمة، ولكنها ليست في مرتبة واحدة؛ لأن طاقات الناس مختلفة فمنهم من لا يحسن إلا

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده ٦٨/٣٧، ح رقم ٢٢٣٨٦، وابن ماجه في سننه افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في القدر ٣٥/١، ح رقم ٩٠.

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٦.

العمل اليدوي، ومنهم من يحسن الأعمال الفنية، ومنهم يسمو فكره وعقله فيحسن الأعمال العقلية والمشروعات التي تحتاج إلى فكر وتعقل.

وقد شبه العلماء العمل ببناء هرمي قاعدته أوسع شيء فيه، وهي تشمل العمال اليدويين ومن يقاربونهم، والمجتمع يحتاج إليهم؛ لأنهم الذي يقيمون العمران بسواعدهم القوية، وهم الذي يفلحون الأرض ويشقون الأنهار، ويرفعون البناء وينقلون الناس من مكان إلى مكان، كالسائقين، ولا تتصور دولة تقوم بدونهم.

وإذا علونا من قاعدة الهرم إلى ما هو أعلى منها وجدنا العمال الفنيين المهرة في صناعة من الصناعات، وهؤلاء يقومون بفرض كفائي أيضًا؛ لأنهم بأعمالهم يسهلون الحياة ويقيمون الحضارة.

وإذا وصلنا إلى وسط الهرم كان مساعدو المهندسين والمعاونين في تنفيذ كل ما تنتجه عقول المفكرين من توجيهات فكرية.

وإذا قاربنا قمة الهرم كان المفكرون والمنظمون للجماعة الإنسانية العالية، وكلما علونا إلى القمة قل العدد وكثر النفع، وإن الذين يكونون في أعلى القمة، هم الذين تعيش الإنسانية على اختراعاتهم وكشفهم لنواميس الكون، وإنهم في كل أمة عدد قليل وبمقدار قوة تفكيرهم يكون تقدم الأمة، فلا يقاس تقدمها بعددهم، وإنما يقاس بطاقاتهم[1].

الثمرة الرابعة: تحقيق الكرامة والعزة للفرد والمجتمع:

لا شك أن العمل الصالح يحقق كرامة العمل؛ حيث يحجبه عن مذلة سؤال الغير، وفي ذلك يقول الشيخ مبشر الطرازي تحت عنوان «الإسلام يدعو إلى كسب الرزق»: الإسلام يدعو إلى العمل ولا

---

(١) النظم المالية في الإسلام دراسات وقراءات مختارة: أ. د/ عيسى عبده، صـ ٢٢٨، ٢٢٩.

يبيح البطالة لأي أحد من أتباعه طمعًا في مال الغير، وحتى إنه يحرم سؤال شيء من المال لمن عنده قوت يومه، وذلك حفظًا لكرامة المسلم وصيانة لماء وجهه، بل يأمر كل من يؤمن بتعاليم الإسلام أن يبذل جهوده؛ حتى يعيش على كد يمينه وعرق جبينه، وهو بذلك يصون دينه وعرضه(١).

قال الإمام الماوردي ﷺ: «... وقد قيل لأبي الزناد: لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟ فقال: هي وإن أدنتني منها فقد صانتني عنها. قال بعض الحكماء: «مَنْ أَصْلَحَ مَالَهُ فَقَدْ صَانَ الْأَكْرَمَيْنِ: الدِّينُ وَالْعِرْضُ»..، الدراهم مراهم؛ لأنها تداوي كل جرح، ويطيب بها كل صلح...، وقيل في منثور الحكم الفقر مخذلة، والغنى مجدلة، والبؤس مرذلة، والسؤال مبذلة»(٢).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾(٣): «في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف [اتخاذها حرفة] بها لا ينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم، إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخلي عن الامتنان»(٤).

وفى كتابه «قمع الحرص»: «وقال الحجاج بن المنهال: كنت أمشي مع حماد بن سلمة في حاجة، فمر بباب السلطان، فوقف وقبض على لحيته، وقال: الحمد لله الذي دلنا على السوق، وأغنانا عن أبواب هؤلاء، قال الحجاج: وكان حماد بن سلمة يجيء إلى السوق فيجلس قدر ما يربح مئة درهم ثم ينصرف، ويقول: يكفيني هذا المقدار هذا قوتي، وهذا قوت عيالي، وقال سفيان: إنما افتضح أصحابنا حين احتاجوا، وقال: العالم إذا لم يكن له معيشة صار وكيلًا للظلمة، والعابد

---

(١) الإسلام الدين الفطري الأبدي: أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني ٤٨/٢.

(٢) أدب الدنيا والدين: الماوردي صـ٢١٩، ٢٢٠.

(٣) سورة ص من الآية ١٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٢٦٧/١٤.

إذا لم يكن له معيشة أكل بدينه»[١].

هذا، وما يجري على الفرد يجري على الدول، بل إن العمل يرفع قيمة العامل والمجتمع ويحولهما من كم مستهلك إلى كم منتج، وتنتج الدولة فتفتح الطريق لغنى شعبها ثم غناها فتعطى غيرها من الدول، والفرد حين ينتج فينفع نفسه ويتصدق، وفى الحديث عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ، أَوْ قَالَ: بِالْمَعْرُوفِ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ»[٢].

وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»[٣].

---

(١) قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة: القرطبي صـ١١١، ١١٢.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الأدب، باب كل معروف صدقة ١١/٨، ح رقم ٦٠٢٢ [واللفظ له]، ومسلم في صحيحه ك الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٦٩٩/٢، ح رقم ١٠٠٨.

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه ك الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى ١١٢/٢، ح رقم ١٤٢٧.

فهرس المراجع والمصادر

١. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٢. الإسلام الدين الفطري الأبدي: أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني، الإسكندرية: دار عمر بن الخطاب، ١٩٧٦م.

٣. الأدب المفرد: محمد بن اسماعيل البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦ه)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيدًا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤. إصلاح المال: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ه)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥. الأموال: أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (ت ٢٥١هـ)، تحقيق: د/شاكر ذيب فياض، ط١، السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٦. البركة في السعي والحركة: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبيشي (ت ٧٨٢هـ)، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٧. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: الحارث بن أبي أسامة (ت ٢٨٢هـ)، المنتقي: نور الدين علي بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي الشافعي (ت ٨٠٧ هـ)، تحقيق: د/حسين أحمد صالح الباكري، أصل التحقيق: أطروحة دكتوراة، شعبة السنة بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، ط١، السعودية: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٨. تاريخ الدعوة في حياة الفارق عمر ﷺ: للمؤلف، المنصورة: دار اليقين.

٩. تاريخ الدعوة في عهد الصديق أبي بكر ﷺ: للمؤلف، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٩٤م.

١٠. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي ابن محمد سلامة، ط٢، السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١١. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان: الشيخ إسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٣٧هـ)، اختصار: الشيخ محمد على الصابوني، ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٢. التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، السعودية: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

١٤. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١٥. ركائز القدوة في تفسير الدعوة: أ. د/ أحمد أحمد غلوش، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

١٦. سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.

١٧. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

١٨. السيرة النبوية: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت

٥٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، ط٢، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

١٩. العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ/خليل شحادة، مراجعة: د/سهيل زكار، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٠. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير «مختصر تفسير القرآن العظيم»: الشيخ أحمد شاكر، أعده: أنور الباز، ط٢، المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، ط١، دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.

٢٢. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٣. قصص الأنبياء: الشيخ عبد الوهاب النجار، القاهرة: دار الحديث.

٢٤. قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، ط١، طنطا: دار الصحابة للتراث، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٥. القضاء والقدر: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، ط١، السعودية: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢٦. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.

٢٧. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٢٩. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، بيروت: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣٠. مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣١. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٣٢. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٣٣. المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٣٤. المعجم الصغير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، عمان: دار عمار،

١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٥. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت.

٣٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: الأستاذ المحقق العلامة/محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٧. المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٦/٢٠٠٧م.

٣٨. مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ه.

٣٩. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٢هـ.

٤٠. مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (ت ٣٢٧هـ)، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، ط١، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤١٩ه/١٩٩٩م.

٤١. مناهج الحياة «السعي، العمل، الاقتصاد، بهذه الثلاثة تنال الثروة»: أ/نقولا حداد، إنجلترا: مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٢٠١٧م.

٤٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

٤٣. النظم المالية في الإسلام دراسات وقراءات مختارة: أ. د/ عيسى عبده، القاهرة: من مطبوعات معهد الدراسات الإسلامية للعام الجامعي ١٣٩٦-١٣٩٧ هـ.

فهرس موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية..... ٢٠٦٩
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ٢٠٧١
مقدمة..... ٢٠٧٤
المبحث الأول: مفهوم العمل والنشاط الإنساني بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى ٢٠٨٠
المطلب الأول: مفهوم العمل في الثقافات غير الإسلامية..... ٢٠٨٠
أولًا: الرأسمالية:..... ٢٠٨٠
ثانيًا: الاشتراكية «الشيوعية»:..... ٢٠٨٢
المطلب الثاني: العمل في الثقافة الإسلامية ٢٠٨٤
أولاً: تعريف العمل لغة واصطلاحًا: ٢٠٨٤
ثانيًا: العمل في مصادر الثقافة الإسلامية: ٢٠٩٠
طرق الكسب التي يحصل الإنسان بها على رزقه:..... ٢٠٩٢
المبحث الثاني: الربط بين العمل والأخذ بالأسباب ٢٠٩٦
المطلب الأول: قواعد السعي والعمل ٢٠٩٦
المطلب الثاني: النهي عن الكسل والقعود عن العمل..... ٢١٠١
المبحث الثالث: محفزات العمل في الثقافة الإسلامية..... ٢١١٠
المبحث الرابع: أسباب نجاح العمل..... ٢١٣٠
أولاً: الأسباب الراجعة إلى طبيعة العمل: ٢١٣٠
ثانيًا: الأسباب التي ترجع إلى العامل:..... ٢١٣٤
المبحث الخامس: أنواع المكاسب ٢١٤٦
المبحث السادس: ثمرات العمل الاقتصادي الصالح ٢١٥٤

الثمرة الأولى: تحقيق الاستخلاف في الأرض على خير صورة من عبادة الله وعمارة الأرض: . ٢١٥٤
الثمرة الثانية: أن العمل النشيط المنتج يدير عجلة الإنتاج النافعة ويربط المجتمع كله برباط المصلحة للفرد والمجتمع: ٢١٥٥
الثمرة الثالثة: العمل هو البناء الهرمي لتكوين المجتمع الراقي: ٢١٥٥
الثمرة الرابعة: تحقيق الكرامة والعزة للفرد والمجتمع: ٢١٥٦
فهرس المراجع والمصادر ٢١٥٩
فهرس موضوعات البحث ٢١٦٤

تم بحمد الله تعالى